الإثارة والإغراء

طرق الوقاية وأساليب المعالجة
في ضوء القرآن الكريم والسنة الغراء

دكتور إسماعيل عبد العزيز محمود أبو شطره
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
كلية الدراسات الإسلامية للبنات بالإسكندرية - جامعة الأزهر

دار العقيدة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ٢٠٠١/٧٠٢٧



دار العقيدة

الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٣/٥٧٤٧٣٢١ ف: ٠٠٢٠٣/٥٧٦٥٦٢١

القاهرة: ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ت: ٠٠٢٠٢/٥١٤٣١٧٤

E-mail: dar_alakida@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الكتاب تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة وبُشرى للمؤمنين، لك الحمد يا ربنا بجميع أنواع المحامد كلها، نحمدك ونشكرك حمداً وشكراً لا انقضاء لمددهما، ولا إحصاء لعددهما، ولا زوال لأثرهما، عدد ما كان وما هو كائن وما سيكون إلى أن ترث الأرض ومَنْ عليها، وأنت خير الوارثين، كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك، ولا معبود سواك.

أشهد أنك أنت الواحد الأحد المليك، الفرد الصمد الذي لا ند له ولا شريك.

سبحانك سبحانك سبحانك، فقد أكملت لنا الدين، وأتممت علينا النعمة، ورضيت لنا الإسلام ديناً.

أرسلت رسولك بالهدى، ومعه الحجج القاطعات، والبراهين الساطعات، والآيات الباهرات، والسور المعجزات.

أشهد أنه عبدك المرتضى، ونبيك المصطفى، وحبيبك المجتبى، وخليلك المنتقى، ورسولك المرتجى خير خلقك وخاتم رسلك وصفوة أنبيائك، بعثته رحمة للعالمين، كافة للناس بشيراً ونذيراً، ختمت بدينه الأديان، وبشريعته الشرائع، وبه المرسلين.

اللهم اجزِ عنا حبيبنا سيدنا محمداً ﷺ خير ما جزيت نبياً عن أمته، اللهم اجزه عنا ما هو أهله. وصلِّ وسلم وبارك عليه عدد جميع ما خلقت في كل نفس وفى كل لمحة مائة ألف مرة، وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين، وآل البيت

الطيبين الطاهرين وزوجاته أمهات المؤمنين، والصحابة أجمعين، والتابعين وتابعيهم ومن نهج نهجهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد:

فلا غرو من أن القرآن الكريم منهج حياة، ودستور أمة، وهو الشافي للأمراض، الهادي للعباد، الصالح لكل زمان ومكان، ولكل جيل من الأجيال، وهو الذي أحيا أمة من مواتها، وأيقظها من سباتها، وهذبها بعد بعثها، ونفخ فيها من روحه، وقدمها في قمة الصفوف، وجعلها مهابة السيوف، غير عابئة بالحتوف، وحوَّل في يدها الزمام، فانتصرت بالفكر والطُّهر لا بالحسام.

وقد كانوا من قبل يتخطفهم الناس من حولهم، لا يعبأ بهم، ولا يلتفت إليهم، ولا يقام لهم فى دنيا الناس ميزان.

وإذا بهم صناع الحضارة، وبناءو التاريخ ومعلمو الأجيال، وقائدو الأمم، ورعاة الذمم وقد كانوا بالأمس القريب رعاة الغنم !

وتراهم ينتصرون على أعتى إمبراطوريتين في العالم آنذاك، وهما : فارس في الشرق، والروم في الغرب.

وما كانوا يملكون من الأسلحة أقواها، ولا من العدد أكثره، ولكنه إيمان عميق رسخ في قلوبهم، وخالطت بشاشته نفوسهم. وعقيدة صلبة رست في صدورهم، تحطمت أمامها زخارف الحياة الدنيا. فباعوا كل مرتخص ونفيس لأجل دينهم، وكتاب ربهم وسنة نبيهم، لأنهم أدركوا أن العز بهما، والذل والهوان والصغار في بيعهما.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ

وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة:١١١).

فخلف من بعدهم خلف فترت عزائمهم، وسفهت أحلامهم، ونامت عن العز عيونهم، وخلدت إلى الكسل جوارحهم، واطمأنت بالدنيا نفوسهم.

فانشغلوا عن العظائم بالمحقرات، وعن الغنى بالفقر، وعن العز بالذل، وعن العلم بالجهالات، وعن القوة بالتفاهات. فاتبعوا الشهوات، وارتكسوا في الحمتات!!

وإذ بالعدو يدخل في صفوفهم على غرة، فينفث فيهم سمومه الزعاف، ويستولي عليهم كالراعى على الخراف، ويغرقهم في مستنقع من الرذائل، ويصب عليهم فتنة من غير حائل!

ولا عجب فعيون الأعداء ساهرة لنا بالمرصاد، وقلوبهم تمتلئ بالحقد علينا والبغضاء نحونا، والدَّخْل والعداوة تجاهنا!

قال تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة:٢١٧)، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران:١١٨-١٢٠).

ويعلم العالمون أنهم سطروا في بروتوكولات حكماء صهيون، ومخططاتهم الدنسة لإغراق العالم الإسلامي في براثن الوحل، وخنادق الفجور، والعياذ بالله رب العالمين.

فمما جاء على لسان المخطط الآثم : «يجب علينا أن نكسب المرأة، فأي يوم مدت إلينا يدها، فزنا بالحرام، وتبدد جيش المنتصرين للدين». ويقول أحد أقطاب المستعمرين: «كأس وغانية يفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعل ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات».

وجاء في بروتوكولات خبثاء صهيون: «يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان، فتسهل سيطرتنا على العالم، إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو: إرضاء غريزته الجنسية وعندئذٍ تنهار أخلاقه».

ومما قاله القس «زويمر» في مؤتمر المبشرين -المنصِّرين- الذي عقد منذ أكثر من خمس وسبعين عاماً في جبل الزيتون بالقدس: «إنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقًا لما أراده له الاستعمار لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه فى دنيا إلا في الشهوات!!

فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات..».

هذا الذي ذكرناه نقطة من مستنقع آسن، ومن بحر عفن مما دبره أعداء هذه الأمة!

وكان العنصر الأساسي الذي اعتمدوا عليه هو عنصر المرأة، فهي العنصر الضعيف العاطفي التي تنساق بسهولة طالما لم يكن عندها وازع من دين وأخلاق، تنساق وراء الدعاية والفتن والإغراء بلا روية ولا تفكير!!

ألا فلتحذر كل امرأة مسلمة وفتاة مؤمنة تؤمن بالله واليوم الآخر بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ (النساء:٧١) [(١)].

(قلت) فهذه هي بعض المخططات الماسونية[(٢)] وليس كلها إذا علمنا أن الأعداء أكثر من أن يحصوا كما قال جلت عظمته في القرآن الكريم: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ (الأنفال:٦٠).

وجاء في كتاب «المرأة ومكانتها في الإسلام»، يقول غلاستون الإنكليزي المتعصب: لا تُقَيَّم حالة الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن، وإتيان المسكرات والمخدرات، وإتيان الفواحش والمنكرات، فتختل قوى الإسلام[(٣)].

وأعتقد أنك معي عزيزى القارئ والقارئة أن كثيراً من هذه المخططات قد نجحت في أرض واقعنا الأليم بعد أن قاموا بإفساد المرأة واستغلالها استغلالاً سيئاً. إلا ما رحم ربى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

---

(١) «من وصايا القرآن للنساء» : الشيخ محمد السعيد (ص ٧٣) .

(٢) الماسونية : هي القوة الخفية التي تدير زمام العالم من الناحية السياسية والعسكرية والثقافية، وهي من أخبث ما ابتدعته اليهودية العالمية بمعاونة الاستعمار الخبيث. والماسونية جمعية سرية مخربة إرهابية ذات مناهج وأغراض وطقوس ورموز. الماسون : تتكون من كلمتين فرنسيتين (فرانك) ومعناها الصادق أو الحر و(ماسون) ومعناها البناء. يراجع كتاب: «المرأة ومكانتها في الإسلام»، للأستاذ أحمد عبد العزيز الحصين : (ص ١٧٥) .

(٣) (ص ٩).

فباسم الحرية خلعت حجابها!

وباسم المساواة تركت أولادها، وهربت من بيتها ومملكتها!

وباسم العصرية قتلت حياءها ووأدت عفافها!

فأضحت مثيرة للغرائز ومغرية بالشهوات ومتبرجة تعرض الأزياء تارة، وأخرى عارضة لجسدها في مسابقات ملكات الجمال، والرياضة، والتمثيل على خشبة المسرح وفى السينما والتلفاز، وعلى صفحات الجرائد والمجلات الماجنة.

وباتت **الإثارة والإغراء** صفحة وسجلاً عريضاً من سجلاتها، ووتراً حساساً من أوتارها، فكثرت الجرائم الأخلاقية الوخيمة بسببها وانتشرت الموبقات بجرائمها.

خطر القنبلة الجنسية :

يقول شيخنا الغزالي -رحمه الله-: حضرت دورة لمنظمة الصحة العالمية شرقي البحر المتوسط، وكانت استفادتي منها واسعة، واطلعت على حقائق إنسانية رأيت أن أشيعها بين جمهور القراء.. يقول «جورج بالوشي هوفر» في كتابه «الثورة الجنسية»: «الآن بعد أن كادت مخاوفنا تهدأ من الخطر الذري، وتستريح للتصالح بين القوى العظمى، ألا توجد حوافر بشرية تُحسُّ القلق البالغ للأهمية البالغة التي يكتسبها «الجنس» في حياتنا اليومية؟!

ألا نشعر بالخشية إذ نرى أمواج الشهوات الجنسية وغارات العرى والإغراء لا تهدأ حتى تثور؟

إنه يجب أن ينشغل الناس انشغالاً جاداً بالقوة الهائلة التي يمكن أن تبلغها الحاجة الجنسية إذا لم يكفكفها الخوف من الجحيم أو الأمراض المعروفة أو الحمل!

إن القلقين على مستقبل العالم وفضائله يشعرون بأن أطناناً من القنابل الجنسية تتفجر كل يوم وينشأ من انفجارها دمار واسع.

والواقع أن مستقبل الأجيال الناشئة محفوف بالمكاره، ربما يتحول أطفالنا اليوم إلى وحوش عندما تحيط بهم وسائل الإغراء المتجددة بالليل والنهار! إن تشويهاً كبيراً سوف يلحق بالبشر حيث كانوا..».

وكتب «جيمس رستون» في «النيويورك تايمز»: إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون في نهاية المطاف أكبر من خطر الطاقة الذرية..!!

ويلفت المؤرخ «أرنولد توييني» النظر إلى أن سيطرة الغرائز الجنسية على السلوك والتقاليد يمكن أن تؤدي إلى تدهور الحضارات.

إن العلاقات الحرام لم تعد نزوات عابرة، إنها نمت كالسرطان الخبيث، وتطاير شررها، وطورها الشيطان تطويراً واسع الأرجاء.

فلم يَعُد الجنس تلك العلاقة الحسية القائمة بين زوجين اثنين أو حتى بين شخصين لا يربطهما عقد شرعي أو قانوني، بل أضحى عالماً واسعاً بكل ما فيه من فنون ووسائل ومثيرات.

وفي الواقع يستحيل اليوم السير في أي مدينة كبيرة دون التعرض «للقصف الجنسي» الحقيقي .. إعلانات من كل حجم، مجلات وأغلفة مصورة، أفلام سينمائية، صور معروضة في مداخل علب الليل، وآلاف من الفتيات والنساء يرتدين ثياباً كان يمكن أن توصف بقلة الحشمة منذ عهد قريب.

إن اللواط والسحاق والممارسات الجماعية للجنس والزواج التجريبي، ونوادى الشذوذ، ونوادي العراة، والمجلات الماجنة، والأفلام الجنسية الفاضحة، والصور الخليعة.. إلخ كل هذه وغيرها أصبحت السمة المميزة للمجتمعات البشرية في شتى أنحاء الأرض.

إن الإسلام ربط بين نسيان الله وغلبة الهوى، وبين إضاعة الصلاة واتباع الشهوات.. وعندما فتح المساجد للنساء جعل لهن صفوفاً خاصة فلم يَخْلِطْهُن بالرجال، وأمرهن أن يجئن محتشمات قانتات لله.

وأمر كلا الجنسين بغضِّ البصر، وأمر النساء خاصة أن لا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها بطبيعته في الوجه[١] والكفين. «ودعا دعوة عامة بعد ذلك إلى الزواج وجعله نصف الدين». وقد نسي الغلاة هذا كله، فحبسوا النساء في البيوت حبسًا مطلقًا، ووضعت تقاليد للزواج جعلته يقصم الظهر.

ولا نريد أن نتحدث عن أثر ذلك محلياً وعالمياً على سمعة الإسلام والمسلمين. إن مسالك العرب عندما يسيحون في عواصم الغرب تصبغ الوجوه بالعار، وبحثهم في كل أفق يثير العجب!

ألا نفكر بجد في الأسلوب الأمثل لتنفيذ وصايا الإسلام في بلادنا؟[٢].

(قلت): إن وصايا الإسلام تكمن في تعاليم القرآن الكريم وسنة النبي الأمين -عليه الصلاة والسلام-، ومن المدهش أنهما هما اللذان حلا مشكلات الرعيل الأول من الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم أجمعين-، والقرآن الكريم الذي بين أيدينا الآن هو نفسه الذي كان بين يدي هذا الجيل ولم يزد فيه حرف أو ينقص منه حرف ولم يتبدل ولن يتغير بإذن الله تعالى إلى قيام الساعة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر:٩).

إلا أننا ولينا وجوهنا شطر الشرق تارة، ونحو الغرب أخرى، ولم نولِ وجوهنا شطر القرآن الكريم والسنة المطهرة، فوقعنا فريسة في يد غيرنا!

---

(١) حسمنا القول فى وجوب تغطية الوجه بالنقاب فى الفصل السادس من هذا الكتاب بحمد الله وتوفيقه.

(٢) «قضايا المرأة» : أستاذنا الشيخ الغزالي (ص ٤٥-٤٧).

ويوم أن يؤوب المسلمون إلى المنهج القويم المتمثل في القرآن الكريم وسنة النبى الأمين -عليه الصلاة والسلام- احتكاماً واهتداءً، وتطبيقاً وتنفيذاً فى كل مجالات الحياة المختلفة، الاجتماعية والثقافية، والاقتصادية، والسياسية، والعسكرية؛ ساعتها سيعود لهم عزهم الفقيد، ومجدهم السليب ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ (الروم:٤-٧).

جريمة الإثارة والإغراء:

إن جريمة الإثارة والإغراء لا تقل فى نظرنا خطراً وفتكاً وجُرْماً عن تجارة السموم البيضاء، والمخدرات والمسكرات القاتلة، فهم جميعاً فى قفص الاتهام محاكمون سواء بسواء ويجمعهم وجه شبه واحد وهو الرذيلة، ولكلٍّ دوره فى ارتكابها، ولكلٍّ سلاحه فى القتل والتعذيب والهلاك والتدمير والتشريد، فمنهم من يقتل على البطيء، ومنهم من يقتل على جناح السرعة فى الحال.

وهذا هو الذى أوجب علىَّ كتابة هذه الصفحات، علها أن تكون إسهاماً منا فى إعادة المرأة إلى صوابها ورشدها، وصمام أمان قبل فوات الأوان، واندلاع البركان الذى لا يُبْقِى ولا يذر.

الوقاية خير من العلاج:

وهذه الدراسة تقوم على دراسة عنصر مهم من عناصر القرآن الكريم وهو الطب الوقائى العلاجى، حيث وضع القرآن الكريم أسساً وقائية تمنع من وقوع الجريمة فعمد على بتر أسبابها بَلْـهَ مقدماتها، ونتائجها.

ومما استطعت أن أستخلصه فى هذا الصـدد لخدمة هذا الموضوع هو قول الله -عز وجل-: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء:٣٢)،

وهناك فارق كبير جداً بين التعبير بقوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ﴾ وبين «ولاتزنوا» إذ فى الأول نهى عن الاقتراب، وهو نهى عن كل المقدمات والأسباب والوسائل التى تجر وتدفع إلى ارتكاب الجريمة، والعياذ بالله رب العالمين.

وبهذا إذا انتفت المقدمات والأسباب والوسائل انعدمت بالتالى النتائج. ولو قال: «ولا تزنوا»، لما أفادت هذه المعانى.

ومعظم الكُتّاب الذين كتبوا عن الزنى إنما كتبوا عن الزنى وعالجوه من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة.

أما بحثنا فهو خاص بمعالجة هذه الجريمة النكراء معالجة قرآنية وقائية للمقدمات والأسباب والوسائل التى تسبق الفعل الحرام على ضوء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ﴾. حيث يلاحظ الدقة المتناهية فى اللفظ القرآنى البديع، فهو نهى عن مجرد الاقتراب من دائرة الخطر بأى صورة من الصور؛ فهو نهى عن الاقتراب بالفكر أو التصور، أو الهمّ ونهى عن الاقتراب بالنظر، فضلاً عن النهى بالسعى أو المشى والتحرك، وكذلك نهى عن العزيمة أو النية!

ودائرة الكلمة ودلالتها غزيرة فى معطياتها ومراميها وظلالها! ونحن نرى قوات الجيش يقيمون أسلاكاً شائكة على مواطن المتفجرات، ويكتبون عليها لافتات ممنوع الاقتراب خطر الموت! والمصير المؤلم، والنهاية الأليمة، لمن يتسلق هذه الأسلاك الشائكة، ويتسلل إلى حتفه وهلاكه!

فليس غريباً على القرآن الكريم إذاً أن يزرع الأسلاك الشائكة حول الانحراف والرذائل بكل ألوانها؛ وأصنافها؛ وأحجامها.

وليس جديداً على القرآن الكريم أن يغرس الأسلاك الشائكة فى وجه الإثارة والإغراء لأنها الطريق إلى الفساد، وبداية الانحراف الأخلاقى بشتي صوره، ومختلف أبعاده..

وقد سميته بعون المعبود «الإثارة والإغراء طرق الوقاية وأساليب المعالجة في ضوء القرآن الكريم والسنة الغراء».

هذا وقد دارت الخطة الموضوعة لهذا العمل كما يلي:

أولاً: الفصول الثلاثة الأولى تبين وتشخِّص مكمن الداء، والفصول التالية من الرابع إلى السابع للوقاية والمعالجة والاستشفاء.

ثانياً: وضعت عناوين مناسبة لكل فصل يتمشى مع مفهومه ومحتواه.

ثالثاً: اعتمدت على ما كتبه السابقون من المفسرين وغيرهم، ورجحت ما رأيته راجحاً بالأدلة والبراهين.

رابعاً: خرجت الأحاديث من كتب السنة النبوية، خلا الأحاديث التى ذكرها أئمة التفسير ونقلتها عنهم اكتفاءً بذكرهم لها، واعتماداً على أقوالهم فيها.

خامساً: صدرت آرائى فى البحث بكلمة (قلت) الموضوعة بين قوسين كبيرين.

سادساً: أسماء الطبعات وتواريخها جعلته فى نهاية الخاتمة حتى لا يضيق الهامش.

والخطة البحثية لهذا العمل كالتالى:

مقدمة: وفيها أهمية الموضوع.

التمهيد: وفيه بيان المعاني اللغوية لكلمتي الإثارة والإغراء.

وسبعة فصول :

الفصل الأول: الإثارة والإغراء بالقول.

الفصل الثاني: مناجم الإثارة والإغراء ومعقلهما.

الفصل الثالث: بارود الإثارة والإغراء.

الفصل الرابع: غض الأبصار وقاية ومعالجة.

الفصل الخامس: الحجاب وقاية ومعالجة.

الفصل السادس: النقاب وقاية ومعالجة.

الفصل السابع: آداب الاستئذان وقاية ومعالجة.

الخاتمة: اشتملت عل أهم المقترحات، وثبت المراجع، والفهرس.

والله أسأله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يتقبله قبولاً حسناً إنه نعم مأمول وخير مسئول.

دكتـور

إسماعيل عبد العزيز «أبو شطره»

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية




التمهيد ويشتمل على
التعريف بالإثارة والإغراء

أولاً: الإثارة في اللغة

تثور: ثار الغبار سطع، وبابه قال و«ثوراناً» أيضاً و«أثاره» غيره.

«وثوَّر» فلان الشر «تثويراً» هيجه وأظهره. اهـ[١].

وثار: هاج، ومنه قيل للفتنة ثارت وأثارها العدو، وثار الغضب: احتد، وثار إلى الشر نهض، وثوَّر الشر تثويراً، وأثاروا الأرض عمروها بالفلاحة والزراعة. اهـ[٢].

والثور: الهيجان، والوثب، والسطوع، وظهور الدم.. وأثاره وأثَرَه، وهثره، وثوره، واستثاره غيره. اهـ[٣].

وثار: ثوراناً وثورة هاج وانتشر فهو ثائر.. وثار به الشر والغضب، وثار به الناس. وثبوا عليه.

أثاره: هيجه ونشره. اهـ.[٤]

وأثرته: هيجته ونشرته، وأثار الأرض: حرثها وشقها وقلبها للزراعة أو لغيرها كاستخراج المعادن أو استنباط المياه. اهـ.[٥]

وجاء في «القاموس»: «الأثَر، محركة: بقية الشيء -جمع آثار، وأُثور- والخبر.. وأَثَّر تأثيراً، ترك فيه أثراً.. والأُثرة بالضم يأثِره ويأثُره، وإكثار الفحل من ضراب الناقة، وبالضم: أثر الجراح يبقى بعد البرء، وماء الوجه ورونقه». اهـ[٦].

---

(١) «مختار الصحاح»: للرازي: (ص٨٩).

(٢) «المصباح المنير»: للفيومي (ص ٣٤).

(٣) «القاموس المحيط»: للفيروز آبادي (١/ ٥١٣).

(٤) «المعجم الوجيز» (٨٩).

(٥) «القاموس القويم للقرآن الكريم»: للأستاذ إبراهيم أحمد عبد الفتاح: (١/ ١١٣).

(٦) (١/ ٤٨٩، ٤٩٠).

وفي الصحاح: «الأثر»: -بفتحتين- ما بقي من رسم الشيء وضربة السيف.. «والتأثير» إبقاء الأثر في الشيء. اهـ(١).

وفي «المعجم»: «أَثَّر فيه: ترك فيه أثراً.

«تأثر» الشيء : ظهر فيه الأثر.

وبالشيء : تطبع به، والشيء تتبع أثره.

والإِثْرُ : لمعان السيف ورونقه.

والأَثَر : العلامة ولمعان السيف». اهـ(٢).

(قلت): فالإثارة على ضوء ما تقدم من كتب اللغة هي : مصدر للفعل ثار يثور، ومعناها : الهيجان والتحرك، والانتشار.

فهي إذاً عامل مادي حسي يستخدم لتهييج الشهوات الساكنة والغرائز الكامنة والوصول بها إلى درجة الغليان للتحرك بعد وقوفها وتنتشر بعد هَدْءتها وتثور بعد سلامتها وتنطلق بعد حَكْمتها، وتشيع بعد فَتْرتها، وتجنح كالبهيمة التي فلت ذمامها فهي تتخبط خبط العشواء، وتأكل من كل أرض وبيداء، وتسير سيراً غير مُرْضٍ، أو كالأسد الهصور، هرب من قفصه في غفلة من حاجبه!! فهو ينهش في الأجسام البريئة نهشاً، ويسفك الدماء الظليمة سفكاً، ويعيث في الأرض فساداً وعبثاً، ويقيم الذعر، ويعلن الخراب غير عابئ بعظيم أو مهاب!

وهذا المشهد سيظل حقيقة قائمة إلى أن تُعْلَن على هذا الأسد الثائر الأحكامُ العرفية، بإعلان قانون الطوارئ الدولية للقبض عليه وإعادته إلى حيث عدم إثارته وهي إحكام الذمام عليه.

وهنالك سيعود الأمن والأمان والسلامة والاطمئنان بعد محاكمة هذا الهزبر ووضعه في طبيعته وطبعه وسلامته وسلمه لا في القبر!!

(١) «مختار الصحاح» (ص ٥، ٦).
(٢) «الوجيز» (ص٦).

تراك ماذا يفعل الأسد بمن وقف في طريقه كائناً من كان؟

أيسلِّم عليه؟ أم يقبِّله بين عينيه؟ أم يا ترى سيركع بين يديه ورجليه؟

وهل العيب في الأسد أم فى حارسه؟ إن حارسه لو أحكم الغلق عليه ولم يغفل، لظل الأسد في قفصه من غير أن يتعرض لإيذاء أحد أو أكله!

فالعيب إذن ليس في الغرائز؛ لأن الله -عز وجل- جعل لها مخارجها الحلال، ولكن العيب انطلاقها للحرام، وسعيها لمعصية الواحد الملك العلام، وتمردها على شريعة من لا يغفل ولا ينام جل وعلا.

الإغراء فى اللغـة:

وبعد عرضنا لكلمة الإثارة من حيث اللغة، نتحدث عن الإغراء من حيث اللغة أيضاً فنقول وبالله التوفيق:

«غرِي» به من باب صـدِى أي : أولع به، والاسم: الغَراءُ بالفتح والمد.[1]اهـ .

«غري» بالشيء غرىً من باب تعب، أولع به من حيث لا يحمله عليه حامل، وأغريت به إغراء فأغرِي به للبناء للمفعول، والاسم الغراء، بالفتح والمد.

وأغريت بين القوم مثل أفسدت وَزْناً ومعنى. اهـ[2].

«غَرِي» به كرَضِي، غَراً وغِرَاءً : أولع كأُغرِي به، وغُرى مضمومتين.. وأغراه به والاسم الغروي : ولعه، وبينهم العداوة : ألقاها كأنه ألزقها بهم»[3]. اهـ

«غرِي» به – غراً، وغراة، تعلق قلبه به ولزمه. و–فلان : تمادى في غضبه. «أغرى» بين القوم : أفسد، و–الإنسان وغيره بالشيء حرضه عليه. ويقال: أغرى العداوة بينهم ألقاها. «أُغرى» به أولع. اهـ[4].

---

(١) «مختار الصحاح» (٤٧٣).

(٢) «المصباح المنير» (ص ١٧٠).

(٣) «القاموس المحيط» (٢/١٧٢٦).

(٤) «المعجم الوسيط» (ص ٤٤٩).

غرِي -من باب فرِح- يَغْرَى غَراً وغَرَاة: تعلق قلبه به ولزمه كأنه لصق بالغراء.

وأغرى غيره بالشيء: حرضه عليه من خير أو شر. اهـ.[1]

(قلت): فالإغراء في اللغة إذن هو: الولوع بالشيء، والإفساد، وإلقاء العداوة، والتحريض على فعل الشر.

فهى إذن مصدر للفعل الماضى غَرِى، ومضارعه يغرَى بفتح الراء.

وهنا يمكن القول بأن بين الإثارة والإغراء ترابط والتحام، وتجانس والتئام، ويجمعهما وجه شبه واحد، وهو الإلقاء في مستنقع الفاحشة والنجاسة والدعوة إليهما.

إذ الإثارة: تعمل على إشعال نار الشهوات وهيجانها وتحرُّكها وانتشارها.

والإغراء: يعمل بدوره على التحريض على الفعل القبيح والممارسة له فهما جناحان لطائر واحد، ووجهان لعملة واحدة.

وإذا كنا تعرفنا على **الإثارة والإغراء**، من حيث التعريف بهما، فهيا بنا نتعرف على دور القرآن الكريم والسنة الفيحاء في دورهما من حيث الوقاية والمعالجة لهذين المرضين المزمنين، وما فعلاه في تقويم سلوك المنحرف، وسد طرق الفساد الأخلاقي، لينعم المجتمع المسلم بحياة طاهرة، خالية من الأمراض، بريئة من الشبهات، بعيدة عن الملوثات، نقية من المحرمات، نزيهة من جميع ألوان الإغراءات وهو ما سوف نتحدث عنه في موضوع هذا الكتاب، والله الهادي والموفِّق للصواب، فإلى صفحات الفصل الأول، وبالله التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

❊ ❊ ❊ ❊

(١) «القاموس القويم للقرآن الكريم» (٢/ ٥٢).


الفصل الأول
الإثارة والإغراء بالقول

الإثارة والإغراء بالقول

اعتبر القرآن الكريم الخضوع في القول -ومعناه: التحدث بلغة غير جادة، فيها تَكَسُّر وَتَلوٍّ وتميّل - إثارة وإغراء فعمل على نزعها من ألسنة النساء المؤمنات، وفى مقدمتهن سيدات البيت الطاهرات، وملائكة الرحمات، زوجات النبي ﷺ الشريفات المحصنات التقيات النقيات. ففيهن القدوة، وإليهن تلتفت الأنظار وتشد الرحال لأخذ العلم عنهن، والاهتداء بهَدْيهن، والسير على نبراسهن.

فبدأ القرآن الكريم بنهي أطهر البيوتات التي عرفتها وستعرفها الإنسانية على مدى الأزمان عن الخضوع في القول.

لماذا؟

هل هن كن يقمن على هذا الفعل؟

الجواب : كلا وألف كلا.

والسؤال المطروح الآن لماذا إذن هذا النهي وما فائدته؟ لنتعرف على وجه الحكمة!!

فائدته وحكمته:

ذكر الله في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (الأحزاب:٣٢)، فهن مناط القدوة، وفي بيوتهن تنزل الملائكة والوحي والرحمة، فالواجب يفرض عليهن أن يكن أشد التزاماً من غيرهن، وأكثر أدباً، وأكبر ديناً، وأقوم خلقاً، وأهدى سبيلاً من غيرهن، وليس معنى أنهن زوجات النبي ﷺ أن

يفعلن ما يشأن، أو يتكلمن كما يحلو لهن. كلا، فليست صاحبات الحجر الشريفات أمهات المؤمنين والمؤمنات -عليهن أعطر الصلوات وأزكى التسليمات- بأفضل من غيرهن فلم يشرع القرآن الكريم لهن قانوناً خاصاً باعتبار أنهن زوجات رسول الله ﷺ كما يشرع بعضُ الحكام الظلمة والقوانينَ الخاصة له ولأهل بيته! كلا.

بل بداية النهي هن ومنتهاه إليهن!! ومستقره عندهن!

«فالقرآن الكريم كتاب نفسي يشقق دخائل القلب، وأغوار النفوس، وأعماق الأفئدة، فيعرض ألواناً مما تخفى، ويظهر دقائق وخوافي لا تستبان من الظاهر المحسوس، وفي الآيات التالية: يقدم لنا نماذج من نفسيات بشرية متباعدة متباينة، منها: خيّرة طاهرة نقية، وأخرى آثمة تتصيد الكلمة، وتستغل القولة، وتقتنص اللفظة لتغتصب حقاً ليس لها، أو تَـنْـتَهك حرمة لغيرها. وإزاء هذا وضع القرآن الكريم للنفس الخيّرة وقاءً يحميها، ووجاءً يصونها من تطاول النفوس الآثمة عليها واعتدائها، وطمعها فيها: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ يا نساء أمة النبي لستن كسائر النساء نساء الأمم الأخرى، فلا تخضعن بالقول ولا ترققن الكلمات، ولا تخرجن ألفاظكن رخوة متكسرة تفيض دَلالة وأنوثة، ورقة ونعومة، فتُطْمِعن بذلك مريضَ الخُلُق ضعيف الإيمان، والخطاب هنا ليس مقصوراً على نساء النبي فحسب، بل هو موجه إلى كل امرأة مسلمة عندما تخاطب أجنبياً عنها أن تغلظ من صوتها عند محادثته لتحافظ على عِرْضها، وتتقي ألسنة السوء وسهام الشائعات، ومحاولات الطامعين فى جسدها»[1].

(١) «الإسلام والحياة الجنسية، دراسة تحليلية مستمدة من القرآن الكريم»، د. محمود بن الشريف. (ص٣٣).

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾أي فلا ترققن الكلام عند مخاطبة الرجال، ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ «فيطمع من كان في قلبه فجور وريبة، وحب لمحادثة النساء ﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ أي: وقلن قولاً حسناً عفيفاً لا ريبة فيه، ولا لين ولا تكسر عند مخاطبتكن للرجال. اهـ(١).

فهناك من يفتن بصوت المرأة، ويتوله به غراماً وصبابة.. وصوت المرأة عورة*، كما ورد في الإسلام.. لأنه مفتاح قلب الرجل وغرائزه.. فالقلب المريض هنا ليس القلب المصاب بضيق الشرايين أو بالروماتيزم، وما شابه ذلك من الأمراض الحسية، وإنما هو القلب المصاب.. بالشهوات، الذي يخفق خفوقاً غير عادي إذا مسته بنان الفتنة.

وكما أن العين تعشق المنظر الرائع الباهر، فكذلك الأذن تعشق الصوت الرخيم الساحر. اهـ(٢).

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي : لا تَلِنَّ بالقول للرجال ولا ترققن الكلام، ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي : فجور وشهوة ﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ أي : يوجبه الدين والإسلام عند الحاجة إليه ببيان من غير خضوع.اهـ(٣).

(قلت): من هنا يتبين لنا أن القرآن الكريم قد أقام سداً منيعاً، وحاجزاً متيناً، وبناءً قوياً بين المسلم -وكذا المسلمة- وبين إثارة الشهوات، وعمل على سد

---

(١) «صفوة التفاسير» : (٢/ ٥٢٤،٥٢٣).

(٢) «فتنة النساء» (ص ٤٥، ٤٦) بتصرف يسير.

(٣) تفسير مختصر الخازن المسمى «لباب التأويل في معانى التنزيل» (٢/ ٦٥٩).

(*) اختلفت المذاهب في حكم صوت المرأة ما بين قائل بأنه عورة، وقائل بأنه ليس بعورة، والراجح: أن صوت المرأة ليس بعورة، والله أعلم.

منافذ الانحراف بالكلمة الماجنة أو العبارة الفاسقة، حتى لا تؤدي إلى انحراف النفس، وفساد القلب.

وفى هذا طهارة للفرد والمجتمع، ونظافة له من الانزلاق، ووقاية له من أسباب الانحراف، وعلاج له من سبل الانحلال، وفي ذلك يعمل القرآن الكريم على تطبيق مبدأ «الوقاية خير من العلاج».

ونجد القرآن الكريم قد جعل الإنسان مسئولاً عن تصرفاته حتى لا يجرفه الهوى أو يأخذه التيار أو تعصف به الريح.. ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً﴾ (الإسراء:٣٦).

وحينما يقرر القرآن الكريم مسئولية تصرف الإنسان واختياره وحريته إزاء أفعاله إنما يربط بين المخلوق والخالق في إطار من التكليف الشرعي، فيجعله يحيي ملكة المراقبة لله في أعماق نفسه، ورحاب وجدانه، ويعمل على إيقاظ ضميره، وهذا من شأنه الانتصار على كل مفاتن الحياة ومغرياتها، وحصانة النفس من الشرور والأهواء، والموبقات والمنكرات ، والفواحش والعثرات، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ (ق:١٦).

فشعور الإنسان بقرب ربه وخالقه جل وعلا، وأنه يعلم أحوال نفسه ويسمع دقائق الأمور، وخفايا الصدور، ويطلع على دقائق الأسرار ويراه في الملأ وفى الاستتار بالليل أو بالنهار ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ (إبراهيم:٣٨). وهو السميع العليم من شأنه أن يرزق الإنسان عفة وتورعاً ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ (العلق:١٥).

والسنة النبوية المطهرة ورد فيها أن سلامة الجسد في سلامة القلب، كما أكدت أن فساد البدن في فساد القلب «**ألا إن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد**

كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1].

وهنا نجد دور السنة المطهرة في الحث على طهارة وسلامة القلب، وفي التنفير من فساده، وأي إنسان هذا الذي يتمنى أن يفسد بدنه؟ إنه فساد معنوي، وليس مادي! كما أن المرض الذي في القلب -كما في قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ - مرض معنوي نفسي. والقلب المريض هو القلب الفاسد الذي أعلن الفساد على كل البدن، وسرت عدواه إلى كل الأعضاء، فعطبت الأعضاء، وقعدت عن الطاعة، وخلدت إلى المعصية، وسلامة القلب وطهارته هى النافعة يوم الجزاء، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء:٨٨)، والسلامة ضد المرض والسقم وهي تعني الصحة، وهي ضد المرض والعلة.

والقلب السليم هو الذي لم يشده الحديث مع النساء، وعفَّ عن سماعهن، أو الإنصات إلى حديثهن، اللهم إلا لضرورة ملحة، أو لحاجة ماسة.

فكم من قلب سليم مرض بسبب إدمان سماع أحاديث النساء، والمصيبة في أن يتحول هذا المريض إلى مريض مزمن، آفته في التلذذ والاستمتاع بسماع أصوات النساء المثيرات. وهذا ما نشاهده ونسمع عنه بين المختلطين والمختلطات المستهترين والمستهترات الذين يقضون الوقت في المحادثة التي تجر بدورها إلى خراب البيوت وهدم الأسرة؛ لأنه قد تكون المرأة متزوجة ولها زوج وأولاد، وسرعان ما يعلم الزوج عن علاقة زوجته المحرمة فيطلقها. وقد يكون الرجل أيضاً متزوجاً وله زوجة وأولاد فتعلم الزوجة بالعلاقة الآثمة بين زوجها وخادمته أو غيرها، فتطلب الطلاق ويقع ما لا تحمد عقباه،

(١) رواه الشيخان عن النعمان بن بشير -رضى الله عنهما-، وذكره الإمام النووى فى «رياض الصالحين» : باب الورع وترك الشبهات: (٢١٩).

وما ذلك إلا بسبب البداية التي زينها الشيطان. حينما أغوى الرجل والمرأة ببراءة الحديث، وهذه تكون عادةً نقطة الانطلاقة وشرارة البدء، فمعظم النار من مستصغر الشرر.

يبدأ الحديث بريئاً وعاماً، ثم رويداً يشتمل على بعض الأسرار، وبعدها على إباحتها، وينتهي إلى هتك الستار، وأعمال الفجار، وتخريب الديار، وما ذلك إلا لأن المرأة ألانت القول وخضعت به، وزخرفت الحديث، وجملت الكلام، ورققت الحروف، فأطمعت فيها الذئاب، وكانت سبباً للقيل والقال، ولو أنها أطاعت ربها وعملت بمحكم تنزيله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ ؛ لعاشت سعيدة مطمئنة راضية مرضية.

ألا فليتقِ الله هذا المريض، وليعُدْ إلى رشده، وليتُبْ إلى خالقه -سبحانه وتعالى- لأنه ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ (غافر:١٩).

ولتتبْ إلى الله تعالى كل امرأة غاوية أغوت غيرها بحديثها فأَرْدَته في الهاوية، ولتعلم أن ما تقدمت به من إثارة وإغراء وفتنة إنما ستجني إثمه، وستحصد عاره، وتقبض بواره، وستجنى عقوبته في الدنيا قبل الآخرة، وذلك لأنها بما تفعله إنما تمهد الطريق وتذللها لإشاعة الفاحشة، وتسهل السبل وتذللها لإشاعة المنكر، ولقد توعد الله تعالى محبي ومحبات إشاعة الفاحشة بين الذين آمنوا بعذاب أليم فى الدنيا قبل الآخرة فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور:١٩).

«فالإسلام حرم شتى أنواع ووسائل الإغراء التي من شأنها إثارة الغرائز، وإشاعة الفواحش. كل ذلك في سبيل أن يعيش الإنسان في مجتمع نظيف لا أثر

للضغوط الخارجية فيه على أعصابه. مجتمع يعين الإنسان على سلوك سبيل الفطرة. يعينه ولا يعين عليه. ولذلك كان موقف الإسلام حاسماً وحازماً بالنسبة لكل عامل من عوامل الإفساد في المجتمع. وقاعدته في ذلك: (**كل ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام**)(١).

(**قلت**): ويتلخص مما سبق:

١- أن القرآن الكريم والسنة المطهرة حذَّرا المرأة من الخضوع في القول، حفاظاً عليها ووقايةً لها من إغراء الكلمة لتبقى سيرتها شريفة، وتعيش بين الناس طاهرة عفيفة.

٢- ما تقوم به بعض النساء من إثارة وإغراء بالقول لبعض الرجال حرام شرعاً.

٣- انتظار العذاب الأليم فى العاجل والآجل لكل محبى ومروِّجى إشاعة الفاحشة فى المجتمع المسلم، فالفتنة نائمة، لعن الله من أيقظها.

٤- الواجب على المرأة احترام نفسها ومجتمعها الذي تعيش فيه حتى لا تتحول إلى مِعْول هدم وأداة تخريب ووسيلة دمار؛ لأن ما تقوم به من إثارة وإغراء بالقول والكلمة يُعَد في نظر الإسلام جريمة لا تقل عن جريمة قذف البارود والقنابل الموقوتة التي تدمر لا محالة في وقت من الأوقات.

٥- حفاظ القرآن الكريم والسنة المشرفة على المجتمعات الإنسانية عموماً، والعمل على وقايتها من الوقوع في بحر **الإثارة والإغراء**.

---

(١) «الإسلام والجنس»: ص (٨٦، ٦٧) : فتحي يكن.

٦- الواجب على كل النساء أن يطبقن منهج الله في الأرض، وأن يلتزمن به وكذا الرجال، ففيه سعادة الدنيا والآخرة.

٧- الابتعاد عن مواطن الشبهات والريبة والتهم، حتى لا تنزلق القدم وتقع فى المعصية «**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرْضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام**»[1].

❋ ❋ ❋ ❋

(١) ذكره الإمام النووى فى «رياض الصالحين»: باب الورع وترك الشبهات: (ص ٢١٩)، وعزاه للإمامين البخارى ومسلم.



الفصل الثاني

مناجم الإثارة والإغراء ومعقلهما



مناجم الإثارة والإغراء ومعقلهما

مما سبق يتبين لنا أن **الإثارة** بالكلمة، **والإغراء** بالقول ضلال عن منهج الله -سبحانه وتعالى- ويترتب عليه فساد في الأرض وهو بطبيعته حرام؛ لأن الله تعالى قد نهى عنه، ومادام الله قد نهى عنه فالواجب الابتعاد عما نهى الله تعالى عنه.

ويلاحظ أن مناجم **الإثارة والإغراء** ومعقلهما هو الاختلاط!!

وهنا يستوقفنا الحديث حول حكم الاختلاط بين الذكر والأنثى، لأن الاختلاط قد يكون سبباً في المحادثة بين الجنسين مما يتسبب عنه **الإثارة والإغراء**، وقبل الخوض في الحديث عن الاختلاط وما يترتب عليه من مخاطر ومفاسد **الإثارة والإغراء**؛ يجب علينا أن نعرّف الاختلاط من حيث اللغة، فنقول وبالله التوفيق:

الاختلاط في اللغة :

خلط الشيء بالشيء يخلطه: ضمه إليه.. خالطَه: عاشره، وداخله في أموره. قال تعالى : ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي : إن تعاشروهم وتعاملوهم.

والخليط : المعاشر، والشريك والمداخل للإنسان في أموره، قال تعالى : ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (ص:٢٤)[١].

وعلى ضوء البيان اللغوي السابق يمكننا تعريف الاختلاط الذي هو معرض حديثنا فنقول:

الاختلاط : هو اجتماع النساء والرجال في مكان واحد من غير ساتر أو حاجز يفصل بينهما. فإنْ لم تحدث خلوة فتلك مصيبة، وإن حدثت فإن المصيبة أعظم،

---

(١) «القاموس القويم» : (١/ ٢٠٣). ويراجع أيضاً «المصباح المنير» (ص ٦٨).

فإن الإثارة والإغراء في حقل الخلطة والمداخلة، والمؤانسة والمعاشرة، والرؤية والمعاملة -أمرٌ مفروغ منه، والفتنة ليست بمعزل عنه.

سواء كان هذا الاختلاط في السوق أو الحقل أو المدرسة أو الجامعة أو العمل أو المواصلات أو النوادي والبلاجات على الشواطئ، فإن الفتنة ليست مأمونة على المختلطين بحال من الأحوال.

ونظرة الإسلام إلى الاختلاط نظرة متفردة وقائية وحاسمة، لأن الله هو الذي خلق الإنسان ويعلم وساوس الصدور، وخلجات النفوس، ودفائن القلوب، فلذلك شرع له ما يصلحه، وصلاحه في عدم الاختلاط. والاختلاط بدوره يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، وإذا كان كذلك فلا يقره الشرع أو يرضاه.

والاختلاط اليوم بات مشكلة من أوسع المشكلات وأعقدها إن لم يكن أخطرها، وعيوبه ومساوئه لا تكاد تحصى أو تُعَد.

وهل هناك أخطر من أن يتفقد الشباب أجساد النساء على الشواطئ والبلاجات؟

وهل هناك أخطر من فقدان هذه النساء للحياء؟

وهل هناك أجرم من خيانة الأمانة بين الشباب والبنات في مؤسسات العلم ودُوره.

وهل هناك أفظع من امتلاء بعض الشباب من مِفْرق رأسه إلى أخمص قدميه **بالإثارة والإغراء**؟ وكذا البنات !!

إن شبابنا وبناتنا اليوم في محنة وهم في مسيس الحاجة إلى مَنْ يمد لهم يد العون، وليس هناك متهم وراء هذه الأزمة الأخلاقية إلا الاختلاط، فأصابع الاتهام تشير إليه، إذ إنه هو المتهم الوحيد.

وهنا حقائق شرعية ينبغي أن نتذكرها في هذا الشأن:

يقول صاحب كتاب «المرأة بين الفقه والقانون»:

١-لا يجيز الإسلام أن تبدى المرأة من زينتها، ولا من سائر جسمها إلا وجهها[١] وكفيها من غير زينة ولا بهرجة، فلا يجيز كشف الشعر والصدر والنحر والساعدين مما تفعله كثير من نسائنا وبناتنا المتأثرات بالحضارة الغربية.

٢-لا يجيز الإسلام أن تخلو المرأة برجل أجنبي عنها، ولو كانت متحشمة في لباسها ومظهرها. وفي ذلك جاء الحديث الشريف: «**ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**»[٢]، وهذا مشاهد معلوم مؤيد بالوقائع والحوادث المتعددة. وعلى هذا فلا يجيز الإسلام أن تستقبل المرأة في بيتها رجلاً أجنبياً عندها، أو قريباً غير مَحْرم لها مهما يكن صديقاً لزوجها أو للأسرة كما يقولون.

٣-لا يجيز الإسلام أن تختلط المرأة بالرجال في الحفلات العامة أو المنديات ولو كانت محتشمة.

وإنما الذي يجيزه الإسلام أن تجتمع المرأة مع الرجال في ثلاثة مواطن:

أ- **مواطن العبادة**: فيجوز أن تحضر صلاة الجمعة، وصلاة الجماعة على أن يكون مكانها منفصلاً عن الرجال.

---

(١) حررنا محل النزاع فى حكم إظهار وجه المرأة فى الفصل السادس من هذا الكتاب، والله الموفق.

(٢) وفى رواية أخرى: «**لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم**» رواه البخارى ومسلم. راجع الترغيب والترهيب»: للإمام المنذرى: كتاب النكاح: (٢/ ٦٦).

ب- **في أماكن العلم**: فيجوز أن تحضر المرأة مجالس العلم مع الرجال، على أن تكون منفصلة عنهم أيضاً، وأن تكون مرتدية اللباس الشرعي الذى لا يبدى غير وجهها وكفيها.

جـ- **في ميدان الجهاد**: حين يعلن النفير العام، فتخرج للجهاد مع الرجال على أن تكون منفصلة عنهم، لها مكانها الخاص وتجمعاتها الخاصة.

وفلسفة الإسلام في هذه الأحكام متمشية مع فلسفته الخاصة بالمرأة، فهو يرى أن إكرامها يكون بالاعتراف بحقوقها التي تقتضيها أهليتها، وبإبعادها عن مواطن الشبهات ومزالق الشهوات حتى تكون لها سمعتها العطرة كفتاة يتزاحم الشباب على الاقتران بها، وكزوجة يتحدث الناس عن إخلاصها لزوجها واستقامتها، وكأم تعرف كيف تغرس في نفوس أبنائها وبناتها معاني الشرف والفضيلة، والكرامة والرجولة الكاملة أو الأنوثة الفاضلة.

فكل ما يفوِّت على المرأة هذه الأجواء الكريمة يُقْصِيها الإسلام عنها، ولو كانت في ذاتها من أفضل النساء وأعفهن، فإن ألسنة السوء تتناول الصالحة والطالحة حين التعرض للشبهات، والنفس أمارة بالسوء، وطبيعة الرجل إذا التقت مع طبيعة المرأة كان منهما ما يكون بين رجل وامرأة من الميل والأنس والاستراحة إلى الحديث والكلام، وبعض الشيء يجر إلى بعض، وإغلاق باب الفتنة أو الشبهة أحزم وأحكم وأبعد عن الندامة في المستقبل.

لهذا كله يتشدد الإسلام في منع اختلاط النساء بالرجال، وقد قامت حضارته الزاهرة التى فاقت كل الحضارات في إنسانيتها ونبلها وسموها على الفصل بين الجنسين، ولم يؤثِّر هذا الفصل على تقدم الأمة المسلمة وقيامها بدورها الحضاري الخالد في التاريخ.

واليوم وقد امتدت إلينا عدوى عادات الغربيين في كل شيء، بدأت مجتمعاتنا تفتح صدرها للاختلاط في الحفلات العامة، وفي دور السينما وغيرها، ثم امتدت إلى الحفلات الرسمية، فبدأت الدعوة توجه إلى الرجل وعقيلته.(١)

ومن المؤسف أن هذه العدوى امتدت أخيراً إلى سفارات عربية إسلامية تمثل دولاً عرفت في العالم كله بأنها دول إسلامية، فكان على سفاراتها أن تراعي تمثيلها لأخلاق دولها وآداب دينها، ولكنه التقليد الأعمى لما يشكو منه عقلاء الغربيين أنفسهم.

الاختلاط وسقوط الحضارات:

ومن الواجب أن نذكر هنا تأثير اختلاط المرأة كما نعرفه في أوروبا على حضارة الأمة ونهضتها، وأثر ذلك في سقوط الحضارتين اليونانية والرومانية، وفى سقوط الحضارة الغربية الحديثة.

فمن المعلوم تاريخياً أن من أكبر أسباب انهيار الحضارة اليونانية تبرج المرأة ومخالطتها للرجال، ومبالغتها في الزينة والاختلاط.

ومثل ذلك حصل تماماً للرومانيين، فقد كانت المرأة في أول حضارتهم مصونة محتشمة، فاستطاعوا أن يفتحوا الفتوح ويوطدوا أركان إمبراطوريتهم العظيمة، فلما تبرجت المرأة، وأصبحت ترتاد المنتديات والمجالس العامة وهي في أتم زينة وأبهى حلة، فسدت أخلاق الرجال، وضعفت مملكتهم الحربية، وانهارت حضارتهم انهياراً سريعاً.

---

(١) العقيلة: الزوجة الكريمة. [«المعجم»: (٤٢٩)].

وتقول دائرة معارف القرن التاسع عشر:

«كانت النساء عند الرومانيين محبات للعمل مثل محبة الرجال له، وكن يشتغلن في بيوتهن، أما الأزواج والآباء فكانوا يقتحمون غمرات الحروب. وكان أهم أعمال النساء بعد تدبير المنزل الغَزْل وشغل الصوف».

ثم دعاهم بعد ذلك داعي اللهو والترف إلى إخراج النساء من خدورهن ليحضرن معهم مجالس الأنس والطرب، فخرجن كخروج الفؤاد من بين الأضالع، فتمكن الرجل لمحض حظ نفسه من إتلاف أخلاقهن وتدنيس طهارتهن، وهتك حيائهن حتى صرن يحضرن المراقص، ويغنين في المنتديات، وساد سلطانهن، حتى صار لهن الصوت الأول في تعيين رجال السياسة وخلعهم، فلم تلبث دولة الرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدري ولا تدري.

وقد قام في اليونان حكماء نبهوا أمتهم إلى أخطاء التهاون في تبرج المرأة واختلاطها بالرجال.

قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر:[1]

«لما حصلت للرومان ثورة يقصد بها نسخ القانون الذي كان يحدد بذخ النساء وتبرجهن». قام (كاتون) وهو ذلك الملك الروماني المشهور بالفلسفة والحكمة بين جمهور الرومانيين في القرن الثاني قبل الميلاد وقال:

«أتتوهمون معشر الرومانيين أن يسهل عليكم احتمال النساء والرضاء بهن إذا مكنتموهن من فصم الروابط التي تقيد استقلالهن وتخضعهن لأزواجهن؟ ألم يصعب علينا حتى مع وجود هذه القيود إلجاؤهن إلى أداء

---

(١) (٨ / ٦١٨).

واجباتهن؟ أما ترون أنهن سيصرن مساويات لنا وسيوقعننا تحت نيرهن؟ أي حجة مقبولة يمكنكم بسطها لتبرئة اجتماعهن الثوري؟ لقد أجابتني واحدة منهم قائلة: إننا نريد أن نكون متلألئات في الذهب والأقمشة القرمزية، وأن نتمشى في طرق المدينة في أيام الأعياد وسائر الأيام الأخرى، ونركب فى المركبات الفخمة لأجل أن نظهر انتصارنا على ذلك القانون الممسوخ الذي يجبرهن على عدم الابتذال وأن نتمتع بحرية انتخابكم، ونريد أيضاً أن لا تضعوا حداً لنفقاتنا وبذخنا».

«فيا أيها الرومان لقد سمعتموني كثيرًا ما أشكو من إسراف الرجال والنساء والعامة.. ولقد سمعتموني كثيراً ما أقول: إن الجمهورية مصابة بداءين متناقضين: الشح والبذخ، وهما الداءان اللذان قلبا الممالك العظيمة رأساً على عقب».

ثم أردفت دائرة معارف القرن التاسع عشر تقول:

«إن (كاتون) لم ينجح في دفاعه عن ذلك القانون، ولكن تحققت إنذاراته كاملة، وفى حياتنا الاجتماعية الحاضرة التي يتمتع فيها النساء بحرية مفرطة نرى دناءة ذوقهن (كذا!..) وميلهن الشديد الذي يحملهن دائماً على الاشتغال بجمالهن وبكل ما يزيد حسنهن ورواءهن، كل ذلك أكثر حظاً مما كانت عليه الحالة في روما».

ثم قالت دائرة المعارف:

«إننا لسنا أول مَنْ لاحظ هذا الأثر السيئ الذي يحدثه حب النساء للزينة يوماً فيوماً على أخلاقنا، فإن أشهر كُتّابنا لم يهملوا الاشتغال بهذا الموضوع الخطير، فكيف النجاة من هذا الداء الذي يقرض مدنيـتنا الحالية، ويهددها بسقوط سريع جداً، وإن شئت فقُلْ بانحطاط لا دواء له»[1].

(١) «دائرة معارف القرن العشرين» (٨/ ٩٢٤،٦١٩).

عقلاء أوروبا يحذرون من الاختلاط:

ومن الملاحظ أن عقلاء الأوروبـيـين بدأوا يحذرون قومهم من المصير الذي انتهى إليه الرومان نتيجة الإفراط فى تبرج المرأة واختلاطها، فنجد العلامة «لويز برول» يقول في مجلة «المجلات» «المجلد ١» تحت عنوان السياسى ما يأتى:

«إن فساد الأسس السياسية وُجد في كل زمان، ومن الغريب المدهش أن عوامله في الزمن الغابر هي ذات عوامله فى الزمن الحاضر، يعني أن المرأة كانت العامل الأقوى في هدم الأخلاق الفاضلة»[١].

ثم أخذ هذا العالم يقارن بين العلامات المنذرة اليوم وبين ما كان في عهد جمهورية الرومان حتى قال: «لقد كان الرجال السياسيون في آخر عهد الجمهورية الرومانية يعيشون صحبة النساء ذوات الطبائع الخفيفة اللاتي كان عددهن بالغاً حَدّ الكثرة، فصار الحال اليوم كما كان في ذلك العهد، ترى النساء اندفعن في تيار الحب البالغ حد الجنون وراء البذخ واللذات».

وقالت الكاتبة الإنجليزية «الليدي كوك» في جريدة «الأيكو»:

«إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط قد تكون كثرة أولاد الزنا، وههنا البلاء العظيم على المرأة». ثم قالت: «أما آن لنا أن نبحث عما يخفف -إذا لم نقل عما يزيل- هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية؟ أما آن أن نتخذ طرقاً تمنع قتل ألوف الآلاف من الأطفال الذين لا ذنب لهم، بل الذنب على الرجل الذي أغرى المرأة المجبولة على رقة القلب».

«يا أيها الوالدان: لا يغرنكما بعض دريهمات تكسبها بناتكم باشتغالهن في

---

(١) المصدر السابق (٨/ ٦٢).

المعامل ونحوها، ومصيرهن إلى ما ذكرنا، علموهن الابتعاد عن الرجال، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد، لقد دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط الرجال بالنساء، ألم تروا أن أكثر أمهات أولاد الزنا من المشتغلات في المعامل.. وكثير من السيدات المعرضات للأنظار، ولولا الأطباء الذين يعطون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف ما نرى الآن، لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الإمكان.. وهذا غاية الهبوط بالمدنية»[1].

وقال شوبنهور الفيلسوف الألماني في كتابه «كلمة عن النساء»:

«قل هو الخلل العظيم في ترتيب أحوالنا الذي دعا المرأة لمشاركة الرجل في علو مجده وباذخ رفعته، وسهل عليها التعالي في مطامعها الدنيئة (كذا) حتى أفسدت المدنية الحديثة بقوى سلطانها ودنيء آرائها..».

ويجدر بي أن أذكر هنا ما قاله اللورد «بيرون» في كتابه «الرسائل والجرائد»[2] قال:

«لو تفكرت أيها المطالع فيما كانت عليه المرأة في عهد قدماء اليونان لوجدتها في حالة يقبلها العقل، ولعلمت أن الحالة الحاضرة «حالة المرأة» لم تكن غير بقية من همجية القرون الوسطى «عند الغربيين»: حالة مصطنعة مخالفة للطبيعة، ولرأيت معي وجوب اشتغال المرأة بالأعمال المنزلية مع تحسين غذائها وملبسها فيه، وضرورة حجبها عن الاختلاط بالغير، وتعلمها الدين، وإبعادها عن الشعر والسياسة، وعن قراءة كل كتاب يبحث في غير الدين والطباخة»[3].

---

(١) «مجلة المنار»: للسيد رشيد رضا: ص (٤٨٦).

(٢) جزء (٢) ص (٣٩٩).

(٣) «الإسلام روح المدنية» للغلاييني: (ص ١/ ٢٤) من الطبعة الجديدة.

أقول: إن ديننا لا يسمح بوصف النساء بما وصفهن شوبنهور، ولكن ذكرته للعظة والاعتبار. اهـ[1].

(قلت): الاختلاط يؤدي بدوره إلى إحراق المجتمع بإشعال وتحريك **الإثارة والإغراء** بين أفراده، وصب نيران الفتن عليهم، لإهلاكهم وتدمير حضارتهم، كما دمر حضارات الأمم السابقة من قبل.

والمنادون بالاختلاط بين الرجال والنساء، لا يريدون للوطن تقدماً، ولا للأفراد أمناً، ولا للشعوب سلطاناً، ولا للدين حرمة؛ لأن دعواهم لما دعوا إليه قد قضى عليها بالبطلان، وحجتهم داحضة ونالها الخسران، وأبان الدليلُ القاطع مكرَهم، وكشف البرهانُ الساطع عورَهم، وهتك النهار الرائع ستارهم، وفضح الفَجْر الصادق رأيهم، وكشف نور الحقيقة ليلهم.

فبالله عليكما -أيها العاقل والعاقلة-: هل تَرْك البنات بين الشبان بدعوى أن فى الاختلاط إلف وأمان، وتعوّد وتطبُّع وتحنان!! لا يكون فيه مدخل للنفس الأمارة والشيطان؟!!!

وهذا لعَمْر الحق قلة عقل، وقصور فهم، وعدم إدراك، ولجاجة رأي، وفقر فكر؛ وكأن المصدق بقولهم، والمخدوع ببارق رأيهم؛ كمن توهم أن النار لا تشتعل إذا وضع عليها البنزين، وأن الحطب لا يتوهج إذا وضع عليه الكيروسين، وأن الذئاب تحرس الأغنام؛ وهل تحرس الذئاب أغنام أحد؟ اللهم إلا في تصور المجانين والمرضى والحمقى!!

يقول صاحب كتاب «الإسلام والجنس»:

«ومن قبيل قطع دابر الفتنة بين الرجال والنساء: حظرُ الإسلام الاختلاطَ لغير مقاصد (العبادة والعلم والجهاد) وفي حدود الحشمة والحيطة الشرعيتين الواقيتين.

---

(١) «المرأة بين الفقه والقانون»: (ص ١٢٥ : ١٢٩) بتصرف.

وفي الحقيقة أن الاختلاط بين الجنسين هو الخطوة الأولى في المسيرة التي تنتهي إلى ما انتهت إليه المجتمعات الغربية من تهتك ومجون. ولهذا تشدد الإسلام فى منع اختلاط النساء بالرجال. علماً بأن هذا الفصل بين الجنسين لم يمنع من قيام حضارة فاقت في وعائها الإنساني كل الحضارات، كان للمرأة فيه دور رائد وطليعي.

يقول الرسول ﷺ: «**ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثها**»[١].

ويقول: «**إياكم والدخول على النساء**» فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو[٢] الموت**»[٣].

وروى الطبراني أيضاً[٤]: «**إياكم والخلوة بالنساء، والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما. ولأنْ يزحم رجلاً خنزير ملطخ بطين أو حمأة[٥]، خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له**»[٦].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) قال الإمام المنذرى: (الحمو) أبو الزوج ومن أدلى به كالأخ والعم وابن العم ونحوهم، وهو المراد هنا، كذا فسره الليث بن سعد وغيره. وأبو المرأة أيضًا ومن أدلى به. وقيل: بل هو قريب الزوج فقط. وقيل: قريب الزوجة فقط. كما قال أبو عبيد فى معناه: يعنى فليمت ولا يفعلن ذلك. فإذا كان هذا رأيه فى أب الزوج وهو مَحْرم فكيف بالغريب؟ «الترغيب والترهيب» (٢/ ٦٦)، وقال بن الأثير فى قوله ﷺ: «الحمو الموت»، هذه كلمة تقولها العرب كما تقول: الأسد الموت، والسلطان النار، أى لقاؤهما مثل الموت والنار، يعنى أن خلوة الحم معها أشد من خلوة غيره من الغرباء؛ لأنه ربما حسن لها أشياء وحملها على أمور تثقل على الزوج من التماس ما ليس فى وسعه أو سوء عشرة أو غير ذلك، ولأن الزوج لا يؤثر أن يطلع الحم على باطن حاله بدخوله بيته، والله أعلم. «هامش الترغيب والترهيب»: (٢/ ٦٥). **قلت**: والحديث أخرجه مسلم فى «صحيحه»: كتاب السلام: باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها: حديث رقم: (٢١٧٢) المجلد السابع، (١٤/ ١٥٣) بشرح النووى.

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٤) رواه الطبراني.

(٥) **الحمأة** بفتح الحاء المهملة وسكون الميم بعدها همزة وتاء تأنيث هو الطين الأسود المنتن. والحديث ذكره الإمام المنذرى فى «الترغيب والترهيب»: (٢/ ٦٦)، وعزاه للطبرانى عن أبى أمامة -رضى الله عنه-.

(٦) «الإسلام والجنس» (ص٨٨،٨٧).

(قلت): طلب العلم فريضة شرعية، وضرورة بشرية، وواجب اجتماعي، وإلزام حضاري. ولهذا لم يطلب الرسول ﷺ زيادة مال، أو جاه، أو عمر، وإنما طلب زيادة علم فقال سائلاً ربه تعالى: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(طه:١١٤).

وما نراه اليوم من اختلاط بين الطلبة والطالبات يعد جريمة في حق العلم؛ لأن الكثير منهم قد خرج عن الآداب الإسلامية، والشريعة المحمدية، واتخذ من الجامعة أو المدرسة ذريعة للقاءات المحرمة، والنظرات الخائنة، فغدا حرم الجامعة وغيره من دور الاختلاط ملوثاً بأمثال هؤلاء الشواذ، والعابثين، والمستهترين الذين يسيئون إلى العلم وإلى أنفسهم ومجتمعهم.

مما يحتِّم على المسئولين عن المؤسسات التعليمية أن يقوموا بالفصل فوراً بين الذكور والإناث قبل الكارثة المدمرة، لأن نظرية المعالجة الجنسية بالاختلاط بينهما أثبتت فشلها الذريع.

يقول صاحب كتاب «فتنة النساء»:

«ولا أمان من فتنة المرأة إلا بالبعد عن الاختلاط، سواء في الرحلات أو الأفراح أو ما شاكل ذلك من ضروب الاختلاط.

وقد سئلت أعرابية شريفة ارتكبت جريمة الزنا: كيف زنيت وأنت شريفة في قومك؟ فقالت: «قُرْب الوساد[1]، وطُول السواد[2]...» ورسولنا ﷺ كان ينهى عن اختلاط الرجال مع النساء في الطريق.. فقد كان خارجاً يوماً من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال ﷺ : «**عليكم بحافات الطريق**». فكانت المرأة تلتصق بالجدار، حتى إن ثوبها ليعلق بالجدار من لصوقها به[3].

---

(١) تقصد قرب المكان.

(٢) تقصد طول الليل.

(٣) «فتنة النساء»: (ص ٢٣).

ويقول الأستاذ محمد قطب عن الحل الغربي للمشكلة الجنسية: بدأوا بالاختلاط البريء، وانتهوا إلى الإباحية الجنسية الكاملة، لأنها النتيجة المحتومة لتلك البراءة المزعومة!

فقد كان هذا الاختلاط البريء أسطورة ضخمة طلع بها الغرب في بدء انحلاله، ليعالج بها الكبت الجنسي. وراح علماء النفس والاجتماع يهولون من فائدتها المطلقة وخيرها العميم.. ثم عاد الغرب فكفر بها، ولم يَعُد اليوم يُجْرِي ذكرها على لسانه، بعد أن تكشفت عن نتيجتها الطبيعية المحتومة.

فأما علماء النفس، وأطباء الأعصاب فقد نكلوا عن رأيهم السابق في هذا الاختلاط الشفوي، بما فيه الرقص على أنغام الموسيقى، وحفلات الشاي (البريئة) والنزهات الخلوية وتحت رقابة الوالدين أو إشراف المدرسين.

فهم يقولون اليوم : إن الاختلاط من شأنه أن يهيج المشاعر الجنسية لا أن يخمدها، فإذا كانت هذه المشاعر تَسكت أو تُسكت بحكم ظروف الاجتماع التي لا تمكّن من التنفيذ العملي، أو بحكم الحياء من الظهور أمام الموجودين والموجودات بمظهر الجائع المتعطش، أو لأي سبب آخر، فإن هذا لابد أن يُحْدِث لوناً من القلق النفسي والعصبي بعد الهدوء المؤقت الذي قد تحدثه الاجتماعات المختلطة.

وعندئذٍ يحدث أحد أمرين : فإما أن يلجأ الشاب إلى تفريغ الشحنة المستثارة في مكان آخر لا تقوم حوله الحواجز، أو يظل في قلقه المفسد للأعصاب.

بل زاد بعض الأطباء فقالوا: إن الاستمرار على هذه الحال، أي الإثارة الدائمة بدون تفريغ، قد يؤدي عند الشاب إلى ضعف عصبي، بالإضافة إلى اللهفة النفسية الدائمة.

وهكذا انكشفت حكاية «التهذيب الجنسي بالاختلاط البريء» عن وهم كبير !

فما قيمة أن تتهذب مع واحدة بعينها، لتنطلق مع أخرى كالحيوان، أو تظل دائماً في لهفة وهيام؟ وما قيمة أن تكون الفتاة التي تهذبك اليوم وتتهذب بك فريسة في الغد لفتى آخر، قد تهذب من قبل، فانطلق يريد الارتواء؟!

إنها أضحوكة، أو ستار رقيق جداً يكشف عن المغالطة التي تستتر وراءه.

وعلى أي حال فقد كفر الغرب بها، ولم يَعُد يزعم أن الاختلاط البريء أمر ممكن التنفيذ.

لقد ألقى القناع، وأعلن في صراحة حمقاء أنه قد أباح لفتيانه وفتياته أن ينزوا بعضهم على بعض بلا حياء!

فما بال هذا الشرق المسكين يتشبث بهذه الأساطير؟ وفي أي مكان على ظهر الأرض يوجد اليوم -أو وجد قبل الآن- اختلاط بريء حتى يدعو إليه هنا الكُتَّاب والمؤلفون؟

ألا فليملأ الكُتّاب الفارغون أسطواناتهم بطبعة جديدة، فقد بطلت الطبعة الأولى وأصبحت غير ذات موضوع!

ولقد كان الإسلام أشد علماً بالطبيعة البشرية، وأدرى بإمكاناتها ومساربها الخفية حين منع هذا الاختلاط، وهو يعلم أنه لن يظل بريئاً قيد الخطوات.

وهو حين دعا إلى الاستمتاع المعقول داخل نطاق الزواج، وحرم المتاع الفاجر من الخارج، لم يكن قصده مجرد التحكم في الناس لشهوة التحكم، وإنما كان يقصد إلى منفعتكم، وتوفير أسباب الراحة النفسية والعصبية للجميع.

فإذا كان الشاب الفائر لا يرى هذه المصلحة في لحظة من اللحظات، لأنه لا يرى الهوة في آخر الطريق، فلا ينتظر ممن يراها رأي العين، أن يسكت عليه حتى يتردى قبل أن يفيق.

وقد كانت المشكلة عندهم في العالم المسيحي، مشكلة نفسية وعصبية، أكثر منها جسدية وعضلية.

كان الأمر الذي يطلبون علاجه هو الكبت النفسي الذي يعانيه من يتربى في ظل التعاليم المسيحية، كما أوحى بها رجال الدين وكتب المواعظ الدينية.

ولكن الطريقة التي عالجوا بها الكبت، قد فشلت في إيجاد السلامة النفسية والعصبية، ولم تزد أن تستبدل به الجوع الدائم واللهفة التي لا تشبع، فضلاً عن حالات القلق المتزايد، التي تفد كل يوم بنسبة مزعجة، على العيادات النفسية في أمريكا خاصة، وهي التي طبقت هذا الحل المثالي إلى آخر مداه!

وهنا يتميز الإسلام بأنه لم يكبت المشاعر الجنسية، ولا يستقذرها في ذاتها، ولا يعتبر من تلم به خارجاً عن ملكوت الله؟

بل يعترف بها أولاً على أنها أمر واقع، ثم يرفعها في حس المسلم إلى درجة النظافة الكاملة التي تقترن بالعبادة وباسم الله الكريم[1].

وبهذا يضمن الإسلام لأتباعه الصحة النفسية، والجسدية إذا ابتعدوا عن مكمن الداء، من الاختلاط المستهتر وما يسببه من **إثارة وإغراء**

❋ ❋ ❋ ❋

(١) «الإنسان بين المادية والإسلام» (ص ٢٠٧-٢٠٩).


الفصل الثالث
التبــرج
بارود الإثارة والإغراء

التبـرج
بـارود الإثارة والإغـراء

تبرجت السماء: تزينت بالكواكب، **وتبرجت المرأة**: أظهرت زينتها ومحاسنها للرجال الأجانب[١].

أمسى التبرج خطراً لا يقل شأناً عن خطر السموم القاتلة والإشعاعات النووية المهلكة، وأضحت المرأة المتبرجة عاراً على المجتمع لما تقوم به من تحدٍ صارخ لقيمه وآدابه وتعاليمه، فهي لا ترعى حق الله، ولا تعرف طريق الحياء، ولا تفهم معنى العفاف، ولا تقيم وزناً للكرامة، ولا تحس طعماً للشرف؛ أعماها التقليد، فهي تنظر بعينٍ غير عينيها، كما تتكلم بغير لسانها.

ظنت أن الحرية في إظهار جسدها، ووضع المساحيق على وجهها، وتفننت في إظهار مفاتنها.

زعمت أن هذه هي الحرية التي تمارسها، وخلطت بما تفعله بين الحرية والإباحية.

والحرية هي : الخلوص من الشوائب أو الرق أو اللؤم[٢].

وهي في اصطلاح أهل الحقيقة: الخروج عن رق الكائنات، وقطع جميع العلائق والأغيار، وهي على مراتب :

* حرية العامة عن رق الشهوات.

* وحرية الخاصة عن رق المرادات لفناء إرادتهم في إرادة الحق.

---

(١) «القاموس القويم للقرآن الكريم» (١/ ٦١).

(٢) «المعجم الوجيز»: (ص ١٤٤).

* وحرية خاصة الخاصة من رق الرسوم والآثار لانمحاقهم في تجلي نور الأنوار(١).

بقي أن نتساءل هل المرأة المتبرجة خلصت من الشوائب؟ أو الرق؟ أو اللؤم؟ وهل خلصت من رق الشهوات؟

ويحسن بنا أن نترك الإجابة لعقل المرأة وضميرها!!

وبعد أن وقفنا عند معنى الحرية لغةً واصطلاحاً يجدر بنا أن نعرف معنى الإباحية **فالإباحية هي:**

مأخوذة من (بَاحَ) الشيء – بوحاً : ظهر. و– فلان بالسر : أظهره، فهو بائح وبئوح.

(أباحه) : أظهره. و–أحله وأطلقه.

(استباحه): عده مباحاً.

و(الإباحية): التحلل من قيود القوانين والأخلاق(٢).

وثمة سؤال يبقى: هل التبرج حرية أم إباحية؟

والجواب على هذا التساؤل قد وضَّحه التعريفان السابقان لمعنى الحرية والإباحية، ولزيادة الإيضاح والبيان نولي وجوهنا شطر القرآن الكريم، لنرى حكمه العادل في المتبرجات!!

قال –جل وعلا– : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب:٣٣).

---

(١) «التعريفات» : (ص ٨٦).
(٢) «المعجم» (ص ٦٦).

معاني الكلمات المباركات:

وقرن في بيوتكن: الْزمن بيوتكن، وكذا جميع النساء.

لا تبرجن: لا تبدين الزينة الواجب سترها.

الجاهلية الأولى: ما كان قبل الإسلام من الجهالات.

الرجس: الذنب، أو الإثم، أو النقص[1].

المعنى والتفسير:

قال الإمام الجصاص: « ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾. روى هشام، عن محمد بن سيرين قال: قيل لسودة بنت زمعة: ألا تخرجين كما تخرج أخواتك؟ قالت: والله لقد حججت واعتمرت، ثم أمرني الله أن أقر في بيتي، فوالله لا أخرج. فما خرجت حتى أخرجوا جنازتها.

وقيل: إن معنى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ كن أهل وقار وهدوء وسكينة، يقال: وقر فلان في منزله يقر وقوراً إذا هدأ فيه واطمأن به، وفيه الدلالة على أن النساء مأمورات بلزوم البيوت. منهيات عن الخروج»[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ روى ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: كانت المرأة تتمشى بين أيدي القوم فذلك تبرج الجاهلية.

وقال سعيد، عن قتادة: يعني إذا خرجتُن من بيوتكن، قال: كانت لهم مشية وتكسر وتغنُّج فنهاهن الله عن ذلك.

وقيل: هو إظهار المحاسن للرجال.

---

(١) «كلمات القرآن تفسير وبيان» (ص ٢٥٧).

(٢) «أحكام القرآن»: للجصاص (٣/ ٣٥٩، ٣٦٠).

وقيل: في الجاهلية الأولى ما قبل الإسلام، والجاهلية الثانية حال مَنْ عمل في الإسلام بعمل أولئك، فهذه الأمور كلها مما أدب الله تعالى به نساء النبي ﷺ صيانة لهن وسائر نساء المؤمنين مرادات بها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾. روي عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين، وقال عكرمة: في أزواج النبي ﷺ خاصة، ومن قال بذلك: يحتج بأن ابتداء الآية ونسقها في ذكر أزواج النبي ﷺ ألا ترى في قوله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ (الأحزاب:٣٤).

وقال بعضهم: في أهل بيت النبي ﷺ وفي أزواجه لاحتمال اللفظ للجميع[١].

ويقول الإمام القرطبي في تفسيره للآية الكريمة.

معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي ﷺ فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى.

هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء؛ كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة. فأمر الله تعالى نساء النبي ﷺ بملازمة بيوتهن، وخاطبهن بذلك تشريفا لهن، ونهاهن عن التبرج، واعلم أن فعل الجاهلية الأولى فقال: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وحقيقة إظهار ما ستره أحسن، وهو مأخوذ من السعة، يقال: في أسنانه برج إذا كانت متفرقة، قاله المبرد.

---

(١) «أحكام القرآن»: للجصاص (٣/ ٣٥٩، ٣٦٠).

واختلف الناس في «الجاهلية الأولى» فقيل:

هي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام، كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ، فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال.

وقال الحكم بن عيينة: ما بين آدم ونوح، وهي ثمانمائة سنة، وحكيت لهم سير ذميمة.

وقال ابن عباس: ما بين نوح وإدريس. الكلبي: ما بين نوح وإبراهيم.

قيل إن المرأة كانت تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين، وتلبس الثياب الرقاق ولا تواري بدنها.

وقالت فرقة: ما بين موسى وعيسى. الشعبي: ما بين عيسى ومحمد ﷺ

أبو العالية: هي زمان داود وسليمان، كان للمرأة فيه قميص من الدر غير مخيط الجانبين.

وقال أبو العباس المبرد: والجاهلية الأولى كما تقول الجاهلية الجهلاء، قال وكانت النساء في الجاهلية الجهلاء يظهرن ما يقبح إظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلها[1]، فينفرد خلها بما فوق الإزار إلى الأعلى، وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى الأسفل، وربما سأل أحدهما صاحبه البدل.

وقال مجاهد: كان النساء يتمشين بين الرجال، فذلك التبرج. قال ابن عطية: والذي يظهر عندي أنه أشار للجاهلية التي لحقنها، فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها، وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة، لأنهم كانوا لا غيْرة عندهن، وكان أمر النساء (دون حجاب) وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كن عليه؛ وليس

---

(١) الخِل بالكسر: الصديق الخالص. هامش تفسير القرطبي (١٤/ ١٨٠).

المعنى أن ثم الجاهلية أخرى. وقد أوقع اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبل الإسلام، فقالوا: جاهلي في الشعراء. وقال ابن عباس في البخاري سمعت أبي في الجاهلية يقول ؟ إلى غير هذا.

(قلت:) وهذا قول حسن. ويعترض بأن العرب كانت أهل قشف وضنك في الغالب، وأن التنعم وإظهار الزينة إنما جرى في الأزمان السابقة، وهي المراد بالجاهلية الأولى، وأن المقصود من الآية مخالفة من قبلهن في المشية على تغنيج وتكسير وإظهار المحاسن للرجال، إلى غير ذلك مما لا يجوز شرعاً. وذلك يشتمل الأقوال كلها ويعمها فيلزمن البيوت، فإن مست الحاجة إلى الخروج فليكن على تبذل(*) وتسترتام(1).

يقول ابن كثير وقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة، ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشروطه كما قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وليخرجن وهن تفلات**(*)- وفي رواية - **وبيوتهن خير لهن**».

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا أبو رجاء الكلبي روح بن المسيب ثقة حدثنا ثابت البناني عن أنس ﷺ قال: جئن النساء إلى رسول الله ﷺ فقلن يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى: فما لنا عمل ندرك بـه عمـل المجاهدين في سبيل الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «-**من قعدت**- أو كلمة نحوها - **منكن في بيتها فإنها تدرك**

(*) التبذل: ترك التزيين والتهيؤ بالهيئة الحسنة الجميلة على جهة التواضع. هامش تفسير القرطبي (١٤/ ١٨٠).

(1) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧٩/ ١٨٠).

(*) غير متزينات بزينة

عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى» ثم قال لا نعلم. رواه عن ثابت إلاروح بن المسيب وهو رجل من أهل البصرة مشهور.

وقال البزار أيضاً: حدثنا محمد بن المثني حدثنا عمر بن عاصم حدثنا همام عن قتادة عن مورق عن أبي الأحوص عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون بروحة**[١] **ربها وهي في قعر بيتها»**. ورواه الترمذي عن بندار عن عمرو بن عاصم به نحوه. قلت: وقال الترمذى حديث حسن صحيح غريب وأخرجه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

وروى البزار بإسناده المتقدم وأبو داود أيضاً عن النبي ﷺ قال: «**صلاة المرأة في مخدعها**[٢] **أفضل من صلاتها في بيتها، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها»** وهذا إسناد جيد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

قال مجاهد: «كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية وقال قتادة: إذا خرجتن من بيوتكن، وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهى الله تعالى عن ذلك.

وقال مقاتل بن حيان: والتبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده، فيواري قلائدها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج، ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج.

---

(١) قلت الروْح بفتح الراء له معان: (١) يطلق على رحمة الله. (٢) يطلق على راحة النفس وسرورها. ويطلق على نسيم الريح.. وقوله: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ أى فرحة وسرور، أو رحمة من الله. وأقرب إطلاق لمعنى كلمة روحة «روحة» هى رحمة الله. ويراجع القاموس القويم: (١/ ٢٧٩).

(٢) قلت: المخدع: الحجرة فى البيت والجمع مخادع.

وقال ابن جرير : حدثني ابن زهير حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا داود -يعني ابن أبي الفرات- حدثنا علي بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : تلا هذه الآية ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ قال : كانت فيما بين نوح وإدريس وكانت ألف سنة، وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة، وإن إبليس لعنه الله أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام فآجر نفسه منه فكان يخدمه، فاتخذ إبليس شيئاً من مثل الذي يزمر فيه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله، فبلغ ذلك من حوله فانتابوهم يسمعون إليه واتخذوا عيداً يجتمعون عليه في السنة فيه فيتبرج النساء للرجال، قال : ويتزين الرجال لهن، وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك، فرأى النساء وصباحتهن، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهم فنزلوا معهن وظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ (١).

وأجمل ما قرأته في هذا الموضوع ما ذكره الشهيد الشيخ سيد قطب -رحمه الله-: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ . من وقر يقر، أي ثقل واستقر، وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقاً، إنما هي إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل في حياتهن، وهو المقر وما عداه استثناءً طارئاً لا يثقلن فيه ولا يستقررن، إنما هي الحاجة تقضي وبقدرها.

والبيت هو مثابة المرأة التي تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله تعالى، غير مشوهة ولا منحرفة، ولا ملوثة، ولا مكدودة في غير وظيفتها التي هيأها الله لها بالفطرة.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤١٢، ٤١٣).

ولكي يهيئ الإسلام للبيت جوه، ويهيء للفراخ الناشئة فيه رعايتها، أوجب على الرجل النفقة وجعلها فريضة كي يتاح للأم من الجهد، ومن الوقت، ومن هدوء البال، ما تشرف به على هذه الفراخ الزغب، وما تهيئ به للمثابة نظامها وعطرها وبشاشتها.

فالأم المكدودة بالعمل للكسب، المرهقة بمقتضيات العمل، المقيدة بمواعيده المستغرقة الطاقة فيه.. لا يمكن أن تهب للبيت جوه وعطره، ولا يمكن أن تمنح الطفولة النابتة فيه حقها ورعايتها.

وبيوت الموظفات والعاملات ما تزيد على جو الفنادق والخانات، وما يشيع فيها ذلك الأرج الذي يشع في البيت، فحقيقة البيت لا توجد إلا أن تخلقها امرأة، وأرج البيت لا يفوح إلا أن تطلقه زوجة، وحنان البيت لا يشيع إلا أن تتولاه أم. والمرأة أو الزوجة أو الأم التي تقضي وقتها وجهدها وطاقتها الروحية في العمل لن تطلق في جو البيت إلا الإرهاق والكلال والملال.

«وإن خروج المرأة لتعمل كارثة على البيت قد تبيحها الضرورة، أما أن يتطوع بها الناس وهم قادرون على اجتنابها، فتلك هي اللعنة التي تصيب الأرواح والضمائر والعقول في عصور الانتكاس والشرور والضلال»[١].

فأما خروج المرأة لغير العمل خروجها للاختلاط ومزاولة الملاهي، والتسكع في النوادي والمجتمعات فذلك هو الارتكاس في الحمأة التي ترد البشر إلى مراتع الحيوان!

ولقد كان النساء على عهد رسول الله ﷺ - يخرجن للصلاة غير ممنوعات شرعاً من هذا، ولكنه كان زمان فيه عفة، وفيه تقوى، وكانت المرأة تخرج إلى

---

(١) عن «كتاب: السلام العالمي والإسلام»: فصل: «سلام البيت» (ص ٥٤-٥٥).

الصلاة متلفعة لا يعرفها أحد، ولا يبرز من مفاتنها شيء، ومع هذا فقد كرهت عائشة لهن أن يخرجن بعد وفاة رسول الله - ﷺ !

وفي «الصحيحين» عن عائشة - رضي الله عنها - كان نساء المؤمنين يشهدن الفجر مع رسول الله ﷺ ، ثم يرجعن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس [*][1].

وفي الصحيحين أيضا أنها قالت : لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن من المساجد، كما منعت نساء بني إسرائيل!

فماذا أحدث الناس في زمان عائشة - رضي الله عنها- ؟ وماذا كان يمكن أن يحدث حتى ترى أن رسول الله ﷺ كان مانعهن من الصلاة؟! ماذا بالقياس إلى ما نراه في هذه الأيام؟!

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾

ذلك حين الاضطرار إلى الخروج، بعد الأمر بالقرار في البيوت، ولقد كانت المرأة في الجاهلية تتبرج، ولكن جميع الصور التي تروى عن تبرج الجاهلية الأولى تبدو ساذجة أو محتشمة حين تقاس إلى تبرج أيامنا هذه في جاهليتنا الحاضرة.

هذه هي صور التبرج في الجاهلية التي عالجها القرآن الكريم، ليطهر المجتمع الإسلامي من آثارها ويبعد عنه عوامل الفتنة، ودواعي الغواية، ويرفع آدابه وتصوراته ومشاعره وذوقه كذلك. ونقول: ذوقه فالذوق الإنساني الذي يعجب بمفاتن الجسد العاري ذوق بدائي غليظ، وهو من غير شك أحط من

(*) **الغَلَس هو**: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح «المعجم» (٤٥٣).

(١) **قلت**: وأخرجه الإمام الشافعي في «المسند» (ص ٢٩) عن عائشة.

الذوق الذي يعجب بجمال الحشمة الهادئ، وما يشي به من جمال الروح، وجمال العفة، وجمال المشاعر.

وهذا المقياس لا يخطئ في معرفة ارتفاع المستوى الإنساني وتقدمه، فالحشمة جميلة جمالاً حقيقياً رفيعاً ولكن هذا الجمال الراقي لا يدركه أصحاب الذوق الجاهلي الغليظ، الذي لا يرى إلا جمال اللحم العاري، ولا يسمع إلا هتاف اللحم الجاهر!

ويشير النص القرآني إلى تبرج الجاهلية، فيوحى بأن هذا التبرج من مخلفات الجاهلية التي يرتفع عنها من تجاوز عصر الجاهلية، وارتفعت تصوراته ومُثُله ومشاعره عن تصورات الجاهلية ومُثلها ومشاعرها.

والجاهلية ليست فترة معينة من الزمان، إنما هي حالة اجتماعية معينة، ذات تصورات معينة للحياة، ويمكن أن توجد هذه الحالة، وأن يوجد هذا التصور في أي زمان وفي أي مكان، فيكون دليلاً على الجاهلية حيث كان!

وبهذا المقياس نجد أننا نعيش الآن في فترة جاهلية عمياء، غليظة الحس، حيوانية التصور، هابطة في درك البشرية إلى حضيض مهين؛ وندرك أنه لا طهارة ولا زكاة ولا بركة في مجتمع يحيا هذه الحياة، ولا يأخذ بوسائل التطهر والنظافة التي جعلها الله سبيل البشرية إلى التطهر من الرجس، والتخلص من الجاهلية الأولى، وأخذ بها أول من أخذ أهل بيت النبيﷺ على طهارته ووضاءته ونظافته.

والقرآن الكريم يوجه نساء النبيﷺ إلى تلك الوسائل؛ ثم يربط قلوبهن بالله، ويرفع أبصارهن إلى الأفق الوضيء الذي يستمددن منه النور، والعون على التدرج في مراقي ذلك الأفق الوضيء. اهـ[1].

---

(١) في «ظلال القرآن» (٥/ ٨٥٩) وما بعدها: لشهيد الإسلام الشيخ سيد قطب.

(قلت): فما أحوج البشرية الضائعة إلى تطبيق منهج القرآن الكريم الذي يحثها على الطهر والعفاف والنظافة في لباسها حتى لا تتأجج فيه نيران الشهوات، وتثار الغرائز فيه، وتندفع النساء إلى الإغراء.

والمجتمع لما طبق تعاليم القرآن الكريم وسنة النبي الأمين ﷺ فيما يخص شئون النساء من الاستقرار في البيوت، والتحجب – وغيرها ساد وقوي وعز وانتصر وتمكن، وتحضر.

أما نحن اليوم فلا نزال في مسيس الحاجة للتطبيق وذلك بعد انفلات الكثيرات والكثيرات من الحجاب وتمردها على الإيمان.

آن الأوان لجيل القرن الواحد والعشرين من النساء والبنات أن لا يرجعن إلى الوراء وعصر التخلف والانسياق وراء أفعال الجاهلية الأولى، وذلك بارتداء ملابس التبرج والتعري والتبجح.

واللباس التقدمي المتحضر لا يوجد إلا في الحجاب الإسلامي!!

وصون البدن، وستر الجسم، حماية للشرف والعرض وزخر في السماء والأرض.

ألا فلتتق الله المرأة المتبرجة، ولتعلم بأنها إنما تسيء إلى نفسها ومجتمعها ودينها وأسرتها. وهي تحاد الله ورسوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ (المجادلة: ٢٠).

ولتعلم المرأة المتبرجة بأن ما تقوم به من تبرج إنما هو في الحقيقة خدمة لأعداء الإسلام الذين لا ينامون لحظة واحدة عن حربك وإفسادك بهذا الفعل! فهل رضيت أن تخدمي الأعداء؟، وهل رضيت أن ترضي الشيطان؟ وهل يرضيك أن تغضبي ربك الخالق؟ جل وعلا!

فإن كانت الإجابة بالسلب حيث لم ترض بأي واحدة من الثلاثة – وأظنها

كذلك– فبادري بتغيير مظهرك ولباسك بما يتناسب مع إيمانك وإسلامك، حتى تكوني وقورة ملتزمة وطاهرة محتشمة، ولك رضوان الله.

وإن كانت الإجابة بالإيجاب حيث رضيت خدمة أعداء الإسلام، وطاعة الشيطان، وإغضاب الواحد الرحمن – وأظن إجابتك ليست كذلك – فلتنتظري عقاب الله الأليم في الدنيا والآخرة لأنك بهذا أحببت أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا!

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور:١٩).

يقول شيخنا الغزالي –طيب الله ثراه–: «استطاعت آثام ومثالب من أعمال أهل الكتاب الأولين أن تتسلل إلى المجتمع الإسلامي، وأن تعكر صفاءه وتلوي مثاره! بعضها في الروابط المقررة بين الرجال والنساء بل في سلوك المرأة نفسها وميلها إلى التبرج!

والتبرج شيء غير التجمل، فالتجمل صون الجسد واستبقاء محاسنه الطبيعية واستبعاد ما يشينها أو يشوهها، وذاك لا حرج فيه، بل هو مطلوب.

أما التبرج فهو الإثارة المتعمدة بإضافات مفتعلة للفت الأنظار واستفزاز الرغبات، وهذا مرفوض، ويزداد الرفض عندما تكون المرأة خارجة للصلاة، فإنها بذلك التبرج تفسد جو العبادة، وما ينبغي له من طهر وتجرد، إن المساجد ليست معارض للفتنة ولا ميدان سباق بين الجميلات، ويجب إعادة المرأة المتبرجة إلى بيتها! وقد فعلت نساء بني إسرائيل هذا المحظور قديماً، وحذر الإسلام منه حديثاً، وشدد أن يخرج النساء إلى المساجد إلا تفلات أي : ليس في هيأتهن تبرج ولا إثارة.

إن الإسلام حريص على طهر العلاقات بين الرجال والنساء في الأسواق والمجامع والبيوت والشوارع، ومن حقه أن يطمئن إلى سلامة النيات وبراءة الملتقيات.

ومن حقه تحصين المعاملات من دسائس الغرائز الجنسية، حتى لا تجد متنفساً إلا في بيوت الزوجية..

وبعض الرجال طُلَعَةٌ : يحب أن يتجاوز ما لديه إلى غيره، وأن يستكشف من فنون الجمال ما يزيد رغبته حدة!. ومن ثم يلجأ إلى التطلع والتلصص فما يزيد ذلك إلا جماحاً وهبوطاً[1].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) «قضايا المرأة»: ص (١٢١، ١٢٢).


الفصل الرابع
غض الأبصار
وقاية ومعالجة

الفصل الرابع
غض الأبصار وقاية ومعالجة

ومما سبق يتبين لنا أن القرآن الكريم قد حرم ألوان التبرج، وصور السفور، ومناظر التعري، وهو بذلك يكون قد أغلق الباب وأحكمه ضد كل عوامل الإثارة، ودواعي الإغراء، وأمر بالحشمة، وستر البدن، حتى تبدو الأنثى في صورة طاهرة شريفة كما أمرها الله تعالى أداة بناء في صرح الأمة، ولبنة صالحة فى لبناتها، لا سوسة تنخر في عظامها. أو معول هدم يدمر كيانها ، ويخرب عمرانها!

ومن ثم جاءت دعوة القرآن الكريم للمؤمنين والمؤمنات تأمرهم وتحثهم بإغضاء النظر، وإطباق الجفنين، وإغماض العينين وكفهن عن النظر إلى الحرام.

ولعمر الحق. أنعم بها من دعوة هي وقاية للقلب من مكامن الإثارة، وصيانة للنفس من فتك الإغراء، واستفزاز الشهوات!

ولعل السر يكمن في أمر الله المؤمنين والمؤمنات بكف أبصارهم وإغضائها عن الشهوات والمحرمات!، لأنهم هم الذين يفهمون الحكمة، ويسارعون إلى التطبيق، ويهتدون بنور المنهج.

لأنهــم يؤمنــون! والإيمان بطبيعته هداية ووقاية، فالله تعالى لا يأمر عباده إلا بكل خير ولا ينهاهم إلا عن كل شر﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الملك:١٤)، وإلى مزيد من البحث والتأمل فيهما معاً.

قال تعالى:﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَ ٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور:٣٠-٣١).

أسبـــاب النـــزول :

أخرج ابن مردويه عن علي -كرم الله وجهه- قال : «مر رجل على عهد رسول الله ﷺ في طريق من طرقات المدينة فنظر إلى امرأة ونظرت إليه فوسوس لهما الشيطان أنه لم ينظر أحدهما إلى الآخر إلا إعجاباً فبينما الرجل يمشي إلى جنب حائط وهو ينظر إليها إذ استقبله الحائط فشق أنفه فقال : والله لا أغسل الدم حتى آتي رسول الله ﷺ فأخبره أمري فأتاه فقص عليه قصته فقال النبي ﷺ : «**هذا عقوبة ذنبك**» وأنزل الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (الأحزاب:٣٣) الآية»[١].

وقال الإمام الحافظ ابن كثير وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال : بلغنا والله أعلم أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت مرثد كانت فى محل لها في بنى حارثة فجعل النساء يدخلن عليها غير متزرات فيبدو ما فى أرجلهن من الخلاخل، وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء ما أقبح هذا!

فأنزل الله تعالى : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ (الأحزاب:٣٣) الآية[٢].

بيان معانى المفردات :

للمؤمنين: الإيمان التصديق. والله تعالى المؤمن لأنه (آمنه) عباده أن لا يظلمهم. وأصل آمن أأمن بهمزتين لينت الثانية، ومنه المهيمن وأصله مؤامن لينت الثانية وقلبت ياء كراهة اجتماعهما وقلبت الأولى هاء كما قالوا أراق الماء وهراقه[٣].

---

(١) «روح المعاني»: (١٨/ ١٣٨).
(٢) «تفسير الحافظ ابن كثير» (٣/ ٢٤٤).
(٣) «مختار الصحاح»: (ص ٢٦).

(**قلت**): وعلى ذلك فالمؤمن: هو المصدق بكل ما جاء عن الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره، حلوه ومره.

يغضوا: الغض: أغضى الرجل عينه بالألف قارب بين جفنيها.

(**قلت**): فالإغضاء هو إطباق الجفنين بحيث تكف عن النظر.

أبصارهم: البَصَر، مُحَرَّكَةٌ: حس العين، جمع أبصار، ومن القلب: نظره وخاطره، وبَصُر به، ككرُم وفرح، بصراً وبصارة ويكسر صار مبصراً. وأبصره وتبصره: نظر هل يبصره. وباصَرَا: نظر أيهما يبصر قبل.. والبصير المُبصر، ج بُصَرَاء، والعالم، وبالهاء: عقيدة القلب، والفطنة[١].

تعريف البصر:

هو القوة المودعة في العصبتين المجوفتين اللتين تلتقيان، ثم تفترقان، فيتأديان إلى العين تدرك بها الأضواء والألوان والأشكال. والبصيرة قوة القلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها بمثابة البصر للنفس يرى بها صور الأشياء وظواهرها، وهي التي يسميها الحكماء: العاقلة النظرية، والقوة القدسية[٢].

ويحفظوا: الحفظ: حفظ الشيء، يحفظه حفظاً: صانه ورعاه، واسم الفاعل حافظ، وصيغة المبالغة حفيظ وحفيظ من أسماء الله الحسنى[٣].

فروجهم: الفرج: يكنى عن أحد السبيلين، قال تعالى: ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ (التحريم:١٢). وجمعه فروج، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ﴾ (المعارج:٢٩). كناية عن عفتهم وبعدهم عن فاحشة الزنى[٤].

---

(١) «القاموس المحيط للفيروزابادي»: (١/ ٥٠٢).
(٢) «التعريفات»: للجرجاني (ص ٤٦).
(٣) «القاموس القويم»: للأستاذ إبراهيم عبد الفتاح: (١/ ١٦٢).
(٤) «القاموس القويم» (٥/ ٧٥).

ذلك: ذا : اسم يشار به إلى المذكر، وذِي بكسر الذال للمؤنث – وتثنية ذا ذان لأنه لا يصح اجتماع الألفين لسكونهما فتسقط إحداهما.. والكاف للخطاب وفيها دليل على أن ما يومأ به بعيد ولا موضع لها من الإعراب.. وهي متصرفة على حسب أصول المخاطب فيقال : ذاك وذاك، وقد تتوسط لام البعد، أو علو المنزلة بينهما وبين كاف الخطاب[١].

أزكى : زكا : الشيء – زُكُواً وزكاءً وزكاةً : نما وزاد. و– فلان : طهر وصلح فهو زَكِيّ. ج أزكياء.

زكى الشيءَ: نماه وأصلحه. و–طهره[٢].

ومعنى (أزكى لهم) أي أطهر من دنس الريبة وأصون وأصلح لشئون الدين الذي جمع خيري الدنيا والآخرة.

وأفعل ليس على بابه من التفضيل بل للمبالغة، ويجوز أن يكون للتفضيل، وعلى ذلك يكون المعنى بالنسبة لأزكى لهم أي أزكى من كل أمر وشأن نافع أو أبعد عن طريق مواطن الارتياب، وقيل المعنى: أن غض البصر إنما هو أنفع من الزنا المحرم، ولذلك لما يتوهم أن لذة النظر والزنا نفعاً.

الله : علم دال على الإله الحق دلالة جامعة لمعاني الأسماء الحسنى كلها[٣].

(قلت) : هو اسم دال على الذات العلية أصل الوجود لا يجوز إطلاقه إلا عليه جل وعلا فلا يحق لأحد أن يتسمى به.

خبير : اسم من أسماء الله الحسنى ومعناه العليم بدقائق الأمور وبواطنها.

---

(١) «مختار الصحاح» : (ص ٢١٨)، ص (٢١٩)، «القاموس القويم»، (١/ ٢٤٧)
(٢) «المعجم الوجيز »: ص (٢٩٠).
(٣) «التعريفات» : ص(٣٤).

يصنعون : الصنع: معناه الإحداث والإنشاء ويكون بقصد وإرادة وتدبير.[١]

المعنى والتفسير :

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ (النور:٣٠). قال أبو بكر : معقول من ظاهره أنه أمر بغض البصر عما حرم علينا النظر إليه فحذف ذكر ذلك اكتفاء بعلمه المخاطبين بالمراد..

فعن علي قال : قال رسول الله ﷺ : «**يا علي إن لك كنزاً في الجنة وإنك ذو وفر منها، فلا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية**». وروى أبو زرعة عن جرير أنه سأل رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري.

قال أبو بكر: إنما أراد ﷺ بقوله: «**لك النظرة الأولى إن لم تكن عن قصد، فأما إن كانت عن قصد فهي والثانية سواء**»، وهو على ما سأله عنه جرير من نظرة الفجاءة وهو مثل قوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء:٣٦)[٢].

ويقول الإمام ابن كثير : ولما كان النظر داعية إلى فساد القلب كما قال بعض السلف: النظر سَهْم سُمٍ إلى القلب. ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ . وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (المؤمنون:٥). وتارة يكون بحفظه من النظر إليه كما جاء في الحديث في «مسند أحمد والسنن»: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك**».

(١) «القاموس القويم» : (١/ ٣٨٣).

(٢) «أحكام القرآن» «للجصاص»: (٣/ ٣١٤، ٣١٥).

﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ (النور:٣٠) أي : أطهر لقلوبهم وأنقى لدينهم. كما قيل: «**من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته، ويروى : في قلبه**».

فعن أبي أمامة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها**». وروي هذا مرفوعاً عن ابن عمر وحذيفة وعائشة رضي الله عنهم، ولكن في أسانيدها ضعف إلا أنها في الترغيب ومثله يتسامح فيه.

وفي «الطبراني» من طريق عبيد الله بن يزيد عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً : «**لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم ولتقيمن وجوهكم أو لتكسفن وجوهكم**» وقال الطبراني .. عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه**».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ (النور:٣٠). كما قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ (غافر:١٩).

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة -رضي الله عنها-: قال قال رسول الله ﷺ : «**وكتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق، وزنا الأذنين الاستماع، وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطى، والنفس تمني وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**» رواه البخاري تعليقاً ومسلم مسنداً من وجه آخر بنحو ما ذكر.

حكم النظر إلى الأمرد:(*)

وقد قال كثير من السلف: إنهم كانوا ينهون أن يحد الرجل نظره إلى الأمرد؛

(*) الأمرد: الجميل الفاتن من الرجال والغلمان.

وقد شدد كثير من أئمة الصوفية في ذلك؛ وحرمه طائفة من أهل العلم لما فيه من الافتتان، وشدد آخرون في ذلك كثيراً جداً.

وقال ابن أبي الدنيا.. عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال. قال رسول الله ﷺ: «**كل عين باكية يوم القيامة، إلا عيناً غضت عن محارم الله، وعيناً سهرت في سبيل الله، وعيناً يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله عز وجل**».

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور:٣١).

هذا أمر الله تعالى للنساء المؤمنات، وغيرة منه لأزواجهن عباده المؤمنين وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات.

وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال: بلغنا والله أعلم أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في محل لها في بني حارثة فجعل النساء يدخلن عليها غير متزرات فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخل، وتبدو صدورهن، وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا !! فأنزل الله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ الآية فقوله: (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) أي: عما حرم الله عليهن من النظر إلى غير أزواجهن، ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلاً.

واحتج كثير منهم بما رواه أبو داود والترمذي من حديث الزهري عن نبهان مولى أم سلمة أنه حدث أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة. قالت: فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه، وذلك بعدما أمرنا بالحجاب، فقال رسول الله ﷺ: «**احتجبا منه**» فقلت يا رسول الله: أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أوعمياوان أنتما؟ أولستما تبصرانه؟**». ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهن إلى الأجانب بغير شهوة، كما ثبت في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتى ملت ورجعت.

وقوله: ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ قال سعيد بن جبير: عن الفواحش. وقال قتادة وسفيان: عما لا يحل لهن.

وقال مقاتل: عن الزنا، وقال أبو العالية: كل آية نزلت في القرآن يذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنا إلا هذه الآية ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ أن لا يراها أحد. اهـ[1].

قال أبو بكر: هذا تخصيص بلا دلالة، والذي يقتضيه الظاهر أن يكون المعنى حفظها عن سائر ما حرم الله عليه من الزنا واللمس، والنظر، وكذلك سائر الآي المذكورة في غير هذا الموضع في حفظ الفروج هي على جميع ذلك، ما لم تقم الدلالة على أن المراد بعض ذلك دون بعض.

الرد على أبي العالية:

وعسى أن يكون أبو العالية ذهب في إيجاب التخصيص في النظر لما تقدم من الأمر بغض البصر وما ذكره لا يوجب ذلك، لأنه لا يمتنع أن يكون مأموراً بغض البصر، وحفظ الفرج من النظر ومن الزنا وغيره من الأمور المحظورة، وعلى أنه إن كان المراد حظر النظر فلا محالة أن اللمس والوطء مرادان بالآية إذ هما أغلظ من النظر، فلو نص الله على النظر لكان في مفهوم الخطاب مالا يوجب

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٤٣، ٢٤٤).

حظر الوطء واللمس، كما أن قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ (الإسراء:٢٣). قد اقتضى حظر ما فوق ذلك من السب والضرب(١).

خطورة النظـرة:

ولما كانت مفسدة الزنا من أعظم المفاسد، وهي منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الأنساب، وحماية الفروج، وصيانة الحرمات وتوقي ما يوقعه أعظم العداوة والبغضاء بين الناس، من إفساد كل منهم امرأة صاحبه وبنته وأخته وأمه، وفي ذلك خراب العالم، كانت تلي مفسدة القتل في الكبر.

ولذا قرنها الله سبحانه وتعالى بها في كتابه، ورسوله في سنتهﷺ

قال الإمام أحمد: ولا أعلم بعد قتل النفس شيئاً أعظم من الزنا، قد أكد سبحانه حرمته بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ﴾ (الفرقان:٦٨). الآية، فقرن الزنا بالشرك وقتل النفس، وجعل جزاء ذلك الخلود في النار في العذاب المضاعف المهين. مالم يرفع العبد موجب ذلك بالتوبة والإيمان والعمل الصالح، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء:٣٢)، فأخبر عن فحشه في نفسه وهو القبيح الذي قد تناهى قبحه حتى استقر فحشه في العقول، حتى عند كثير من الحيوانات، كما ذكر البخاري في «صحيحه» عن عمرو بن ميمون الأودي قال: «رأيت في الجاهلية قرداً زنى بقردة، فاجتمع القرود عليهما فرجموهما حتى ماتا». ثم أخبر عن غايته بأنه ساء سبيلاً.

فإنه سبيل هلكة وبوار وافتقار في الدنيا، وسبيل عذاب الآخرة وخزي ونكال.

---

(١) «أحكام القرآن»: (٣/ ٣١٥).

ولما كان نكاح أزواج الآباء من أقبحه خصه بمزيد ذم فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلاً﴾(النساء:٢٢).

وعلق سبحانه فلاح العبد على حفظ فرجه منه، فلا سبيل إلى الفلاح بدونه فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾(المؤمنون:١-٧).

وهذا يتضمن ثلاثة أمور:

من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين، وأنه من الملومين، ومن العادين – ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان، ووقع في اللوم.

فمقاساة ألم الشهوة ومعاناتها أيسر من بعض ذلك، ويظهر هذا أنه ذم الإنسان وأنه خلق هلوعاً لا يصبر على شر ولا خير، بل إذا مسه الخير منع وبخل، وإذا مسه الشر جزع، إلا من استثنى بعد ذلك من الناجين من خلقه فذكر منهم ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ (المؤمنون:٥-٧).

وأمر الله تعالى نبيه أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم، وحفظ فروجهم، وأن يعلمهم أنه مشاهد لأعمالهم، مطلع عليها: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ (غافر:١٩).

ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر. جعل الأمر بغضه مقدماً على حفظ الفرج فإن كل الحوادث مبدؤها من النظر، كما أن معظم النار مبدؤها من مستصغر الشرر، تكون نظرة، ثم تكون خطرة، ثم خطيئة؛ ولهذا قيل : من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه:

اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات.

فينبغي للعبد أن يكون بواب نفسه على هذه الأبواب الأربعة، ويلازم الرباط على ثغورها، فمنها يدخل عليه العدو، فيجوس خلال الديار، ويتبر ما علا تتبيراً. وأكثر ما تدخل المعاصي على العبد من هذه الأبواب الأربعة!

فأما اللحظات فهي: رائد الشهوة ورسولها، وحفظها أصل حفظ الفرج، فمن أطلق نظره أورد نفسه موارد الهلاك.. فمن غض بصره عن محاسن امرأة لله أورث الله في قلبه حلاوة العبادة إلى يوم القيامة، هذا معنى الحديث، وقال: «**غضوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم**». وقال: «**إياكم والجلوس على الطرقات**: قالوا يا رسول الله مجالسنا، مالنا بد منها، قال: **فإن كنتم لابد فاعلين، فاعطوا الطريق حقه**، قالوا : وما حقه؟ قال: **غض البصر وكف الأذى، ورد السلام**».

والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد الخطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل ولابد، ما لم يمنع مانع، وفى هذا قيل : (الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده) ولهذا قال الشاعر:

كلُّ الحوادثِ مبدأها مِنْ النظرِ ✲ ومعظم النارِ مِنْ مستصغرِ الشررِ
كَمْ نظرةً بلغتْ فى قلبِ صاحبها ✲ كمبلغِ السهمِ بينَ القوسِ والوترِ
والعبدُ ما دامَ ذا طرفٍ يقلبُه ✲ فى أعينِ الغيد موقوفٌ على الخطرِ
يَسرُ مقلتَه ما ضرَّ مهجته ✲ لا مرحبًا بسرورٍ عاد بالضررِ

ومن آفاته :

أنه يولد الحسرات والزفرات والحرقات، فيرى العبد ما ليس قادراً عليه ولا

صابراً عنه، وهذا من أعظم العذاب: أن ترى ما لا صبر لك عنه، ولا عن بعضه، ولا قدرة لك عليه، قال الشاعر:

وَكنتُ متى ارسلتُ طرفَك رائداً ❁ لقلبكِ يوماً، أتعبتك المناظرُ
رأيتُ الذي لا كله أنتَ قادرُ ❁ عليه، ولا عَنْ بعضه أنتَ صابرُ

وهذا البيت يحتاج إلى شرح، ومراده: أنك ترى ما تصبر عن شيء منه ولا تقدر عليه، فإن قوله: (لا كله أنت قادر عليه) نفي لقدرته على الكل الذي لا ينتفي إلا بنفس القدرة على كل واحد.

وكم من مرسل لحظاته فما أقلعت إلا وهو يتشحط بينهن قتيلاً كما قيل:

يا نظرا، ما أقلعت لحظاته ❁ حتى تشحط بينهن قتيلاً

ولي من أبيات:

مَلَّ السلامةَ فاغتدتْ لحظاته ❁ وقفًا على طلل يظنُ جميلاً
ما زال يتبعُ اثـرَه لحظاته ❁ حتى تشحط بينهن قتيلاً

ومن العجب أن لحظة الناظر سهم لا يصل إلى المنظور إليه، حتى يتبوأ مكانه من قلب الناظر، ولي من قصيدة:

يا رامياً بسهام اللحظِ مجتهداً ❁ أنتَ القتيلُ بما ترمي، فلا تصبِ
وباعثُ الطرف يرتادُ الشفاء له ❁ احبس رسولك، لا يأتيك بالعطب

وأعجب من ذلك أن النظرة تجرح القلب جرحاً، فيتبعها جرحاً على جرح، ثم لا يمنع ألم الجراح من استدعاء تكرارها ولي أيضاً في هذا المعنى:

مَا زلتَ تتبعُ نظرةً في نظرة ❁ في إثرِ كلِّ مليحة ومليحِ
وتظنُ ذاكَ دواء جرحك وهو في ❁ التحقيق تجريح على تجريحِ
فذبحت طرفَك باللحاظِ وبالبكا ❁ فالقلبُ منك ذبيحُ أي ذبيحِ

وقد قيل: إن حبس اللحظات أيسر من دوام الحسرات[1].

النظر رسول الفتنة:

ومما حرمه الإسلام في مجال الغريزة الجنسية – إطالة النظر من الرجل إلى المرأة ومن المرأة إلى الرجل، فإن العين مفتاح القلب، والنظر رسول الفتنة، وبريد الزنى قال الشاعر:

نَظــرةٌ، فَابتسامةٌ، فَســلامٌ * فَكــلامٌ، فموعدٌ فَلقــاءُ

لهذا وجه الله أمره إلى المؤمنين والمؤمنات جميعاً بالغض من الأبصار، مقترناً بأمره بحفظ الفروج.. ويلاحظ أن الآيتين أمرتا بالغض من البصر لا بغض البصر، ولم يقل: (ويحفظوا من فروجهن) كما قالت: ﴿يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ فإن الفرج مأمور بحفظه جملة دون تسامح في شيء منه، أما البصر فقد سمح الله للناس بشيء منه رفعا للحرج ورعاية للمصلحة كما سنرى.

فالغض من البصر ليس معناه إقفال العين عن النظر، ولا إطراق الرأس إلى الأرض، فليس هذا بمراد ولا مستطاع، كما أن الغض من الصوت فى قوله تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ (لقمان:١٩). ليس معناه إغلاق الشفتين عن الكلام وإنما معنى غض البصر خفضه، وعدم إرساله طليق العنان يلتهم الغاديات والرائحات والغادين والرائحين، فإذا نظر إلى الجنس الآخر لم يغلغل النظر إلى محاسنه، ولم يطل الالتفات إليه، والتحديق فيه.. وقد سمى الرسول ﷺ النظر زنى لأنه ضرب من التلذذ والإشباع للغريزة الجنسية بغير الطريق المشروع.

ويطابق هذا ما جاء في الإنجيل عن المسيح عليه السلام: (لقد كان من قبلكم يقولونِ لا تزنِ، وأنا أقول لكم: من نظر بعينيه فقد زنى). إن النظر المتلذذ الجائع

---

(١) «الداء والدواء»: للإمام ابن القيم، ص (١٥٦-١٥٩) بتصرف. ط. دار العقيدة.

ليس خطرا على خلق العفاف فحسب، بل هو خطر على استقرار الفكر، وطمأنينة القلب الذي يصاب بالشرود والاضطراب.

تحريم النظر إلى العورات:

ومما يجب غض البصر عنه العورات، فقد نهى النبيﷺ النظر إلى العورات، ولو كان من رجل إلى رجل، أو من امرأة إلى امرأة بشهوة أم بغير شهوة، قالﷺ : **«لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد، ولا المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد»**(١).

وعورة الرجل التي لا يجوز النظر إليها من رجل أو امرأة تحدد فيما بين السرة والركبة، كما ورد في الحديث، ويرى بعض الأئمة كابن حزم وبعض المالكيين أن الفخذ ليس بعورة.

وعورة المرأة بالنسبة للرجل الأجنبي عنها هي جميع بدنها ما عدا وجهها(٢) وكفيها، أما عورتها بالنسبة لمن كان ذا محرم منها كأبيها وأخيها فسيأتي الحديث عنها عند الكلام عن إبداء الزينة فى الفصل الخامس بإذن الله.

وكما لا يجوز النظر إليه من العورات، لا يجوز أن يمس باليد أو بجزء من البدن. وكل ما ذكرنا تحريمه من العورات -نظراً أو لمساً- مشروط بعدم الضرورة أو الحاجة، فإذا وجدت كما في حال الإسعاف أو العلاج فقد زالت الحرمة، وكل ما ذكرنا من جواز النظر مشروطاً بأمن الفتنة والشهوة، فإن وجدت فقد زالت الإباحة سداً للذريعة.

---

(١) رواه مسلم، وأحمد، وأبو داود، والترمذي. واستدل العلماء بالحديث على عدم جواز اضطجاع الرجل مع الرجل، والمرأة مع المرأة في ثوب واحد مع التماس ببعض البدن.

(٢) **قلت**: حررنا محل النزاع فى حكم ظهور الوجه فى الفصل السادس.

حدود إباحة النظر إلى الرجل والمرأة:

ومما ذكرنا يتبين أن نظر المرأة إلى ما ليس بعورة من الرجل – أي ما فوق السرة وتحت الركبة – مباح ما لم تصحبه شهوة أو تخف منه فتنة، وقد أذن الرسول ﷺ لعائشة أن تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم في المسجد النبوي، وظلت تنظر إليهم حتى سئمت هي فانصرفت(١).

ومثل هذا نظر الرجل إلى ما ليس بعورة من المرأة – أي إلى وجهها وكفيها – فهو مباح ما لم تصحبه شهوة أو تخف منه فتنة.

فعن عائشة أن أسماء بنت أبي بكر –أختها– دخلت على النبي ﷺ في لباس رقيق يشف عن جسمها، فأعرض النبي ﷺ عنها وقال: «**يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا**» وأشار إلى وجهه وكفيه(٢).

وفي الحديث ضعف، ولكن تقويه أحاديث صحاح في إباحة رؤية الوجه والكفين عند أمن الفتنة.

وخلاصة القول: إن النظرة البريئة إلى غير عورة من الرجل أو المرأة حلال ما لم تتخذ صفة التكرار أو التحديق الذي يصحبه غالباً – التلذذ وخوف أمن الفتنة. ومن سماحة الإسلام أنه عفا عن النظرة الخاطفة التي تقع من الإنسان فجأة حين يرى ما لا يتاح له رؤيته، فعن جرير بن عبد الله قال: سأل رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فقال: «**اصرف بصرك**»(٣). يعني لا تعاود النظر مرة ثانية(٤).

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود ، والترمذي.
(٤) «الحلال والحرام»، د. يوسف القرضاوي ص (١٣٦ : ١٣٩) بتصرف.

فوائد غض البصر:

وحين يغمض الإنسان عينه عفة وتجملاً.. فإنه يحقق لنفسه فوائد نفسية وجسمية أيضاً، فبالإضافة إلى أن غض البصر لون من الكبح الذاتي الذي يتفرد به الإنسان دون الحيوان، فإن هناك فوائد أخرى من وراء غض البصر تعبر عن حكمة الشارع في الحض على غض البصر.

يقول الأطباء : إن الإشارات الكهربية المنبعثة من المخ أثناء إغماض الجفون تختلف عنها أثناء فتح العين، ففي حالة غض البصر يكون نمط الموجات الكهربية المنبعثة من المخ منظمة الإيقاع والتردد ويكون من نتائج ذلك:

أ- هدوء النفس.

ب- استقرار الوجدان.

ج- نقاء السريرة.

أما عند فتح العين أي النظر فيحدث الآتي:

أ- سرعة الإيقاع.

ب- لا يكون التردد ثابتاً.

وذلك نتيجة لتنبيه الحواس بالإبصار عند التفكير العميق، ويترتب على ذلك:

أ- قلق النفس.

ب- توتر الوجدان.

ج- يزايل النفس إحساسها بالاطمئنان[1].

---

(١) «نحو أسرة بلا مشكلات»: د. محمود عمارة (ص ١١٢، ١١٣).

ضمان الجنة في الغض من البصر :

أ - عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة:**

١ - اصدقوا إذا حدثتم.

٢ - وأوفوا إذا وعدتم.

٣- وأدوا إذا ائتمنتم.

٤ - واحفظوا فروجكم.

٥- وغضوا أبصاركم.

٦- وكفوا أيديكم».

رواه أحمد، وابن أبي الدنيا، وابن حيان في «صحيحه» والحاكم، والبيهقي كلهم من رواية المطلب بن عبد الله بن حنطب عنه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

قال الحافظ : المطلب لم يسمع من عبادة.

ب- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**تقبلوا لي ستاً أتقبل لكم بالجنة:**

١- إذا حدث أحدكم فلا يكذب.

٢- وإذا وعد فلا يخلف.

٣- وإذا ائتمن فلا يخن.

٤- **غضوا أبصاركم.**

٥- **وكفوا أيديكم.**

٦- **واحفظوا فروجكم».**

رواه أبو بكر ابن أبي شيبة، وأبو يعلى، والحاكم، والبيهقي، ورواتهم ثقات(١) إلا سعد بن سنان(٢).

ج- وعن أبى هريرة -رضى الله عنه- عن رسول الله ﷺ أنه قال لمن حوله من أمته «**اكفلوا لى بست أكفل لكم الجنة**، قالوا وما هى يا رسول الله؟ قال: **الصلاة والزكاة والأمانة والفرج والبطن واللسان**». (٣)

فما أعظم هدي القرآن الكريم وسنة النبي الأمين عليه وآله أعطر صلاة وأزكى تسليم.

ومما سبق لعرضنا لأقوال المفسرين والعلماء حول ضرورة غض بصر كل مؤمن ومؤمنة عن النظر إلى العورات أو الشهوات نستطيع أن نستخلص فوائد غض البصر وهي ما يلي:

١- طاعة الرحمن بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

---

(١) «الترغيب والترهيب» : للحافظ المنذرى (٤/ ٢٥، ٢٦) ط. دار الحديث.

(٢) **قلت** : سعد بن سنان مختلف في اسمه وفي توثيقه فقيل: هو سنان بن سعد وقال عنه النسائي: منكر الحديث، وقال الجوزجاني: أحاديثه واهية، وقال الدارقطني: ضعيف. بينما وثقه الإمام أحمد، وحسن الترمذي حديثه، واحتج به ابن خزيمة في «صحيحه» في غير ما موضع. «الترغيب والترهيب»: (٤/ ٢٨٣) باب ذكر الرواة المختلف فيهم.

(٣) «الترغيب والترهيب»: (١/ ١٤٣) وقال: رواه الطبرانى فى «الأوسط» وقال: لايروى عن النبى ﷺ إلا بهذا الإسناد. قال الحافظ : ولا بأس به.

٢- عصيان الشيطان وسد المنافذ عليه حتى لا يتسلل لفساد النفس.

٣- مخالفة الهوى والنفس الأمارة بالسوء.

٤- سلامة القلب والنفس من وصول السهام المسمومة إليها مما يترتب عليه السلامة من الانفعالات النفسية.

٥-الإحساس بقوة الإيمان، والشعور باللذة القلبية.

٦- امتلاء القلب بالقوة، وإمداده بالنور والسكينة والخشوع.

٧- استقامة الجوارح كما استقام البصر.

٨- التخلق والتأسي بأخلاق المصطفى عليه الصلاة والسلام وصحابته رضوان الله عليهم.

٩- السلامة من فعل الحرام، لأن النظر بريد الزنى، ورائد الفجور، ورسول الشهوة.

١٠- الاستغراق في التأمل والتفكر في ملكوت السماوات والأرض، حيث إن البصر نعمة من أكبر نعم الله على الإنسان، وحاسة من أهم حواسه، وقد خلقه الله تعالى للنظر في آلائه، والتفكر في بديع صنعه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الأعراف:١٨٥)، ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (يونس:١٠١)، ومما يترتب على النظر والتأمل إنما هو شكر المنعم المتفضل بواهب النعم سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الملك:٢٣)، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ﴾ (النحل:١٦)، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ (البلد:٨-١٠).

وبهذا يكون الغاض لبصره شاكراً لأنعم الله، مستخدماً بصره في الطاعة والحلال، مترفعاً به عما يشوبه ريبة أو شبهة أو حرام.

أما إرسال النظر، وإطلاق العنان له، وتركه يرسل اللحظات، وإجالته في وجوه المحرمات، وإمعانه في المداومة على الشهوات، وإصابة الملذات، فهو من قلة الدين، وفعل المسيئين، وخصال المذنبين، وفاعله في خطر مبين، والعياذ بالله رب العالمين.

❀❀❀❀


الفصل الخامس
الحجاب
وقاية ومعالجة



الحجـاب وقـايـة ومعـالجـة

لقد أمر الله تعالى المؤمنات بلبس الحجاب، وذلك بعد الأمر بالغض من الأبصار، وفي ذلك من كمال الصيانة، وجمال الوقاية، وتمام الطهارة، وآداب الحشمة، ونقاء المظهر، وسلامة العرض؛ ما يحفظ للمرأة المؤمنة وقارها، وحياءها، ودينها، وخلقها، وعفافها.

فلا تتسرب إليها الأعين الجائعة، ولا النظرات الجامحة، ولا تمزقها السهام الخائنة، ولا تجرحها اللحاظ الطائشة، أو الشاردة.

كيف لا وقد بدت في زي ملائكي، وتحصنت بسياج رباني، وتمنعت بثياب سماوي، وتدثرت بعفاف شرعي علوي. قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المؤمنون:٣١).

بيان معاني المفردات:

زينتهن : مواضع زينتهن من الجسد.

ما ظهر منها : الوجه والكفين والقدمين.

وليضربن : وليلقين ويسدلن.

بخمرهن : أغطية رؤوسهن (المقانع).

على جيوبهن : على مواضعها (صدورهن وما حواليها).

لبعولتهن : لأزواجهن.

نسائهن : المختصات بهم بالصحبة أو الخدمة.

أولي الإربة : أصحاب الحاجة إلى النساء.

لم يظهروا : لم يبلغوا حد الشهوة[1].

الشرح والتفسير :

رؤية الوجه واليدين عند علماء التفسير:

يقول الجصاص : روى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ قال: ما كان في الوجه والكف. الخضاب والكحل.

وعن ابن عمر مثله. وكذلك عن أنس.

وروي عن ابن عباس أيضاً أنهما الكف والوجه والخاتم.

وقالت عائشة: الزينة الظاهرة: القُلب والفَتَخة، وقال أبو عبيدة الفَتَخة: الخاتم. وقال الحسن: وجهها وما ظهر من ثيابها. وقال سعيد بن المسيب: وجهها مما ظهر منها.

وروى أبو الأحوص عن عبد الله قال : الزينة زينتان، زينة باطنة، لا يراها إلا الزوج، الإكليل والسوار والخاتم، وأما الظاهرة فالثياب.

وقال إبراهيم: الزينة الظاهرة : الثياب.

قال أبو بكر : قوله تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ إنما أراد به الأجنبيين دون الزوج وذوي المحارم لأنه قد بين في نسق التلاوة حكم ذوي المحارم في ذلك.

(١) «كلمات القرآن»: ص (٢١٧)، ص (٢١٨).

وقال أصحابنا: المراد الوجه والكفان، لأن الكحل زينة الوجه والخضاب، والخاتم زينة الكف.

فإذاً قد أباح النظر إلى زينة الوجه والكف، فقد اقتضى ذلك لا محالة إباحة النظر إلى الوجه والكف.

ويدل على أن الوجه والكفين من المرأة ليسا بعورة أيضاً: أنها تصلي مكشوفة الوجه واليدين، فلو كانا عورة لكان عليها ستر ما هو عورة، وإذا كان كذلك جاز للأجنبي أن ينظر من المرأة إلى وجهها ويديها بغير شهوة[1].

صدر المرأة ونحرها:

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ روت صفية بنت شيبة عن عائشة أنها قالت نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين، وأن يسألن عنه. لما نزلت سورة النور عمدن إلى حجوز مناطقهن فشققنه فاختمرن به.

قال أبو بكر: قد قيل إنه أراد جيب الدروع، لأن النساء كن يلبسن الدروع ولها جيب مثل جيب الدراعة، فتكون المرأة مكشوفة الصدر والنحر إذا لبستها، فأمرهن الله بستر ذلك الموضع بقوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾.

وفي ذلك دليل على أن صدر المرأة ونحرها عورة لا يجوز للأجنبي النظر إليهما منها[2].

قال القرطبي: وسبب هذه الآية أن النساء كن في ذلك الزمان إذا غطين رؤوسهن بالأخمرة وهي المقانع سدلنها من وراء الظهر. قال النقاش: كما يصنع النَبط، فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر على ذلك، فأمر الله تعالى بليِّ الخمار

---

(١) «أحكام القرآن»: (٣/ ٣١٥، ٣١٦).
(٢) «أحكام القرآن» (٣/ ٣١٦).

على الجيوب، وهيئة ذلك أن تضرب المرأة بخمرها على جيبها لتستر صدرها.

روى البخاري عن عائشة قالت: رحم الله نساء المهاجرات الأول لما نزل ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن أزرهن فاختمرن بها. ودخلت على عائشة حفصة بنت أخيها عبد الرحمن رضي الله عنهم وقد اختمرت بشيء يصف عنقها وما هنالك، فشقته عليها وقالت: إنما يضرب بالكثيف الذي يستر[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أي: أزواجهن، وقوله تعالى: ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾ كل هؤلاء محارم للمرأة يجوز لها أن تظهر بزينتها ولكن من غير تبرج. وقد روى ابن المنذر حدثنا موسى -يعني ابن هارون- حدثنا أبو بكر يعني ابن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا داود عن الشعبي وعكرمة. في هذه الآية ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الآية حتى فرغ منها وقال: لم يذكر العم ولا الخال لأنهما ينعتان لأبنائهما، ولا تضع خمارها عند العم والخال.

فأما الزوج فإنما ذلك كله من أجله فتتصنع له بما لا يكون بحضرة غيره.

وقوله: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني تظهر بزينتها أيضاً للنساء المسلمات دون النساء أهل الذمة لئلا تصفهن لرجالهن وذلك إن كان محذوراً في جميع النساء إلا أنه في فساد أهل الذمة أشد فإنهن لا يمنعهن من ذلك مانع؛ فأما المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتنزجر عنه، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا تباشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها**» أخرجاه في «الصحيحين» عن ابن مسعود.

حكم نظر المرأة المشركة إلى عورة المسلمة:

روى سعيد بن منصور في «سننه» حدثنا إسماعيل بن عياش عن هشام بن

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: (١٢/ ٢٣٠).

الفار عن عبادة بن نسى عن أبيه عن الحارث عن قيس أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة: أما بعد فإنه بلغني أن نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك فإنه من قبلك، فإنه لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها».

وقال مجاهد في قوله: ﴿أَوْ نِسَآبِهِنَّ﴾ قال: نساؤهن المسلمات ليس المشركات من نسائهن وليس للمرأة المسلمة أن تنكشف بين يدي مشركة، وروى عبد الله في «تفسيره»، عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﴿أَوْ نِسَآبِهِنَّ﴾ قال: هن المسلمات لا تبديه ليهودية ولا نصرانية وهو النحر والقرط والوشاح وما لا يحل أن يراه إلا محرم.

حكم وضع الخمار عند المشركة:

روى سعيد حدثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال: لا تضع المسلمة خمارها عند مشركة لأن الله تعالى يقول: ﴿أَوْ نِسَآبِهِنَّ﴾ فليست المشركة من نسائهن.

حكم تقبيل النصرانية واليهودية والمجوسية للمسلمة:

أرى الحرمة في هذا التقبيل، وذلك بناء على أنهن يعاملن معاملة الأجنبي حيث لا يجوز لهن أن ينظرن حتى إلى مواضع زينة المرأة المسلمة، وعليه فلا يجوز لهن تقبيل المسلمات.

قال ابن كثير: وعن مكحول وعبادة بن نسى أنهما كرها أن تقبل النصرانية واليهودية والمجوسية المسلمة، فأما مارواه ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أبو عمير حدثنا ضمرة قال: قال ابن عطاء عن أبيه قال: لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ بيت المقدس كان قوابل[1] نسائهن اليهوديات والنصرانيات فهذا إن صح فمحمول على حال الضرورة أو أن ذلك من باب الامتحان، ثم إنه ليس فيه كشف عورة ولابد والله أعلم.

---

(١) قَبِلت القابلة الولد: قَبَالة: تلقته عند الولادة: «المعجم» ص(٤٨٨).

حكم إظهار الزينة للأمة المشركة والعبد :

قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ يعني من نساء المشركين فيجوز لها أن تظهر زينتها لها، وإن كانت مشركة لأنها أمتها، وإليه ذهب سعيد بن المسيب، وقال الأكثرون بل يجوز لها أن تظهر على رقيقها من الرجال والنساء، واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود ثنا محمد بن عيسى حدثنا أبو جميع سالم بن دينار عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها قال: وعلى فاطمة ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجلاها لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي ﷺ ما تلقى قال : «**إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك**» وقد ذكر الحافظ بن عساكر في «تاريخه» في ترجمة خديج الحمصي مولى معاوية أن عبد الله بن مسعدة الفزاري كان أسود شديد الأدمة وأنه قد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهبه لابنته فاطمة فربته ثم أعتقته ثم قد كان بعد ذلك كله مع معاوية أيام صفين وكان من أشد الناس على علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وروى الإمام أحمد حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن نبهان عن أم سلمة ذكرت أن رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم قال: «**إذا كان لإحداكن مكاتب وكان له ما يؤدى فلتحتجب منه**». ورواه أبو داود عن مسدد عن سفيان به[1].

(قلت): وإن كنت أرى أن الأمة المشركة تأخذ حكم المشركة من الحرائر ما دامت على شركها لأنها ربما أداها شركها إلى نقل ما تراه من سيدتها، فالتستر منهن أدعى للحيطة والحذر، وعليه فلا يجوز رؤية زينتها أو تقبيلها والله أعلم، وأما أمر العبد سواء بقى على شركه أم أسلم فلا يجوز بحال من الأحوال أن يرى زينة سيدته أو يطلع عليها، وأما العبد الذي أهداه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٤٥)، بتصرف يسير.

لسيدتنا فاطمة فإنه كان صغيراً كما سبق ولما كبر أعتقته حينما تحرجت أن ينظر إلى شيء من زينتها كما سبق بيانه عند الحافظ ابن عساكر، وفي حديث الإمام أحمد بن حنبل السابق ما يؤيد مذهبنا وهو إذا كان غير أولي الحاجة للنساء فلا حرج من الظهور أمامه بالزينة، أما إذا كان من أولي الإربة للنساء فالاحتجاب منه واجب.

إذا **(قلت)**: كيف يعلم حاله تلك؟ قلنا: هذا من الأمور المتعارف عليها عن الشراء لدى العرب. معرفة سنه وصحته وحاله وعقله.

وإذا كان العبد من غير أولي الإربة وكان مشركاً: فلا يجوز بحال الاطلاع على الزينة والاحتجاب منه أولى وأصون لأننا قلنا بذلك في شأن المرأة المشركة، وهو هنا أولى بذلك من المرأة وإن كان عبداً والله أعلم.

قال ابن مسعود ومجاهد والحسن وابن سيرين وابن المسيب إن العبد لا ينظر إلى شعر مولاته، وهو مذهب أصحابنا إلا أن يكون ذا محرم، وتأولوا قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ على الإماء لأن العبد والحر في التحريم سواء، فهي وإن لم يجز لها أن تتزوجه وهو عبدها، فإن ذلك تحريم عارض كمن تحته امرأة أختها محرمة عليه ولا يبيح له ذلك النظر إلى شعر أختها، وكمن عنده أربع نسوة، سائر النساء محرمات عليه في الحال، ولا يجوز أن يستبيح النظر إلى شعورهن فلما لم يكن تحريمها على عبدها في الحال تحريماً مؤبداً كان العبد بمنزلة سائر الأجنبيين.

وأيضاً قال النبي ﷺ: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً فوق ثلاث إلا مع ذي محرم**» والعبد ليس بذي محرم منها فلا يجوز أن تسافر به، وإذا لم يجز السفر بها لم يجز النظر إلى شعرها كالحر الأجنبي.

فإن قيل: هذا يؤدي إلى إبطال فائدة ذكر ملك اليمين في هذا الموضع! قيل له ليس كذلك لأنه قد ذكر النساء في الآية بقوله: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ وأراد بهن الحرائر المسلمات، فجاز أن يظن ظان أن الإماء لا يجوز لهن النظر إلى شعر مولاتهن، وإلى ما

يجوز للحرة النظر إليه منها. فأبان تعالى أن الحرة والأمة في ذلك سواء، وإنما خصَّ نسائهن بالذكر في هذا الموضع لأن جميع من ذكر قبلهن هم الرجال بقوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ إلى آخر ما ذكر فكان جائزاً أن يظن ظان أن الرجال مخصوصون بذلك إذا كانوا ذوي محارم، فأبان تعالى إباحة النظر إلى هذه المواضع من نسائهن سواء كن ذوات محارم أو غير ذوات محارم؛ ثم عطف على ذلك الإماء بقوله : ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ لئلا يظن ظان أن الإباحة مقصورة على الحرائر من النساء إذ كان ظاهر قوله: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ على الحرائر، ثم عطف عليهن الإماء فأباح لهن مثل ما أباح في الحرائر[1].

قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ أي: غير أولي الحاجة. والإربة الحاجة يقال أربت كذا آرب أَرَباً والإرْب، والإرْبَة، والمأرُبه، والأَرَب: الحاجة والجمع مأرب، أي حوائج. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾(طـه:١٨).

وقال طَرفة :

إذا المرء قال الجهل والحوب والخنا [2] ❁ تقدم يوماً ثـم ضاعـت مـآربـه

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ﴾

فقيل : هو الأحمق الذي لا حاجة به إلى النساء، وقيل : الأبله، وقيل : الرجل يتبع القوم فيأكل معهم، ويرتفق بهم، وهو ضعيف لا يكترث للنساء، ولا يشتهيهن، وقيل: العنِّين. وقيل: الخصي. وقيل: المخنث. وقيل: الشيخ الكبير، والصبي الذي لم يدرك.

(١) أحكام القرآن (٣/ ٣١٨).

(٢) الحوب : بضم الحاء وفتحها : الإثم، والخنا، الفحش: هامش تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/ ٢٣٤).

وهذا الاختلاف كله متقارب المعنى، ويجمع فيمن لا فهم له، ولا همة ينتبه بها إلى أمر النساء.

وبهذه الصفة كان هِيْت المخنث عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما سمع منه ما سمع من وصف محاسن المرأة.. أمر بالاحتجاب منه. أخرج حديثه مسلم وأبو داود ومالك في الموطأ وغيرهم عن طريق هشام بن عروة عن عائشة. قال أبو عمر: «ذكر عبد الملك بن حبيب، عن حبيب كاتب مالك قال قلت لمالك: إن سفيان زاد في حديث ابنة غَيْلان: إن مخنثاً يقال له هيت» وليس في كتابك هيت؟ فقال مالك: صدق، هو كذلك وغربه النبي ﷺ إلى الحِمَى وهو موضع من ذي الحليفة ذات الشمال من مسجدها.

قال حبيب وقلت لمالك : وقال سفيان في الحديث: إذا قعدت بَنَّت[1]، وإذا تكلمت تغنت. قال مالك :صدق ، هو كذلك.

قال أبو عمر : ما ذكره حبيب كاتب مالك عن سفيان أنه قال في الحديث يعني حديث هشام بن عروة «أن مخنثاً يدعى هيتا» فغير معروف عند أحد من رواته عن هشام، لا ابن عيينة ولا غيره، ولم يقل في نسق الحديث : «إن مخنثاً يدعى هيتا»، وإنما ذكره عن ابن جريج بعد تمام الحديث، وكذلك قوله عن سفيان أنه يقول في الحديث: إذا قعدت تبنَّت، وإذا تكلمت تغنت، هذا ما لم يقله سفيان ولا غيره في حديث هشام بن عروة، وهذا اللفظ لا يوجد إلا من رواية الواقدي، والعجب أن يحكيه عن سفيان، ويحكي عن مالك أنه كذلك، فصارت رواية عن مالك ولم يروه عن مالك غير حبيب كاتب مالك متروك الحديث ضعيف عند جميعهم لا يكتب حديثه، ولا يلتفت إلى ما يجيء به.

---

(١) أي صارت كالمبناة من سمنها وعظمها. قال ابن الأثير : أي فجَّت رجليها لضَخَم ركَبها (فرجها)، كأنه شبهها بالقبة من الأدم. هامش الجامع (١٢/ ٢٣٥).

ذكر الواقدي والكلبي أن هيتاً المخنث قال لعبد الله بن أمية المخزومي، وهو أخو أم سلمة لأبيها وأمه عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال له وهو في بيت أخته أم سلمة ورسول الله ﷺ يسمع: إن فتح الله عليكم الطائف فعليك ببادية بنت غيلان بن سلمة الثقفي، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان[1] مع ثغر كالأقحوان[2]، إن جلست تبينت وإن تكلمت تغنت، بين رجليها كالإناء المكفوء[3]، وهي كما قال قيس بن الخطيم:

تغترق الطرق وهي لاهية ❁ كأنما شفَّ وجهها نُزُفُ[4]

بين شكول النساء خلقتُها ❁ قَصْدُ فلا جَبْلَةُ ولا قَضَفُ[5]

تنام عن كُبر شأنها فإذا ❁ قامت رويدا تكاد تنقصف

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**لقد غلغلت النظر إليها يا عدو الله**» ثم أجلاه عن المدينة إلى الحِمَى. قال: فلما افتتحت الطائف تزوجها عبد الرحمن ابن عوف فولدت له منه بُرَيهة.

وصف التابعين بـ «غير» لأن التابعين غير مقصود بأعيانهم، فصار اللفظ كالنكرة.

---

(١) يعني تقبل بأربع عُكن وتدبر بثمان عُكن. والعكس والإعكان: ما انطوى وتثنى من بطن اللحم سمناً. هامش الجامع (١٢/ ٢٣٥).

(٢) نبت زهرة أصفر أو أبيض. ورقة كأسنان المنشار ومنه البابونج، وكثر في الأدب العربي تشبيه الأسنان بالأبيض منه. المعجم (ص ٢١).

(٣) يعنى ضخم ركبها (فرجها) ونهوده كأنه إناء مكبوب. هامش الجامع (١٢/ ٢٣٥).

(٤) من نظر إليها استغرقت طرفه وبصره وشغلته عن النظر إلى غيرها وهي لاهية غير محتفلة. والنزف بضم فسكون وحرك هنا لضرورة الشعر: خروج الدم. وفي شرح ديوان قيس: أراد أن لونها مع البياض صُفرة وذلك أحسن. هامش الجامع (١٢/ ٢٣٥).

(٥) الشُّكُول: الضروب. وقصد: ليست بالجسيمة ولا النحيفة. والجبلة: الغليظة. من جبَل كفَرِحَ فهو جِبل وجَبْل. والقضَف: الدقة وقلة اللحم. هامش الجامع (١٢/ ٢٣٦).

و«غيْر» لا يتمحَّض نكرة فجاز أن يجري وصفاً على المعرفة.

وإن شئت قلت هو بدل. والقول فيها كالقول في «غير المغضوب عليهم».

وقرأ عاصم وابن عامر «غيْرَ» بالنصب فيكون استثناء، أي: يبدين زينتهن للتابعين إلا ذا الإربة منهم.

ويجوز أن يكون حالاً، أي والذين يتبعونهم عاجزين عنهم قاله أبو حاتم.

وذو الحال ما في «التابعين» من الذكر(١).

(قلت:) وإنما أباح رسول الله ﷺ لهذا المخنث الدخول على نسائه عليهم السلام وذلك لأنه كان مظنة عدم المعرفة أو الإلمام بأحوال النساء، ولما سمع منه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصفه لجمال ودقائق النساء التي لا يمكن أن يقف عليها إلا العليم بأحوالهن، منعه من الدخول عليهن بل ونفاه إلى الحمى، وقام بنهي نسائه قائلاً : «**لا أرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخل عليكم**».

حكم الأطفال الصغار في الاطلاع على زينة النساء:

قوله تعالى : ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ (النور:٣١). قال مجاهد : هم الذين لا يدرون ما هن من الصغر.

وقال قتادة: الذين لم يبلغوا الحُلُم منكم، قال أبو بكر : قول مجاهد أظهر. لأن معنى أنهم لم يظهروا على عورات النساء أنهم لا يميِّزون بين عورات النساء والرجال لصغرهم، وقلة معرفتهم بذلك.

وقد أمر الله الطفل الذي قد عرف عورات النساء بالاستئذان في الأوقات الثلاثة بقوله: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ (النور:٥٨).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٢٣٤، ٢٣٦).

وأراد به الذي عرف ذلك واطلع على عورات النساء، والذي لا يؤمر بالاستئذان أصغر من ذلك.

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: «**مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**». [١]

فلم يأمر بالتفرقة قبل العشر، وأمر بها في العشر لأنه قد عرف ذلك في الأكثر الأعم، ولا يعرفه قبل ذلك في الأغلب[٢].

حكم ضرب النساء للأرض بأرجلهن عند المشي:

لقد منع الله النساء المؤمنات عن إحداث صوت بالنعل عند المشي ونهاهن عن الضرب به في الأرض لما في ذلك من لفت الأنظار إليهن، وإثارة الرجال بالنظر إلى مواضع الزينة الخفية منهن والتي تظهر عند الضرب بالنعل في الأرض كما تفعله بعض نساء هذا الزمان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال، فإن ذلك يورث ميلاً في الرجال وهو أبلغ من النهي عن إظهار الزينة، وأدل على المنع من رفع الصوت. قاله البيضاوي.

وقال الشهاب (قوله وهو أبلغ من النهي) لأن سماع صوت الشيء أضعف من رؤيته، وكون هذا أكثر تحريكاً للشهوة غير مسلم، وقوله أدل على المنع إلخ يعني أنه أكثر دلالة على منع النساء من رفع أصواتهن، لأنه إذا نهى عن استماع صوت حليهن فعن استماع صوتهن بالطريق الأولى.

---

(١) قلت: الحديث أخرجه أبو داود في سننه: باب متى يؤمر الغلام بالصلاة: حديث رقم (٤٩٤، ٤٩٥) (١/ ١٧٣).

(٢) أحكام القرآن (٣/ ٣١٩).

وهذا سد لباب المحرمات، وتعليم للأحوط الأحسن، وإلا فصوت النساء ليس بعورة عند الشافعي رحمه الله كما في الروضة.

وأما عندنا فقال ابن الهمام صرح في النوازل أن نغمة المرأة عورة وبنى عليها أن تعلمها القرآن من المرأة أحب إليَّ لأن نغمتها عورة ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم التسبيح للرجال والتصفيق للنساء فلا يحسن أن يسمعها الرجل[1].

الأمر بالتوبة:

قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي ارجعوا إلى ربكم بامتثال الطاعات، والكف عن الشهوات، لتنالوا رضاه وتفوزوا بسعادة الدارين[2].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٦/ ٣٧٤).
(٢) صفوة التفاسير: للأستاذ محمد علي الصابوني (١٠/ ١٨).


الفصل السادس
النـقــاب
وقــايــة ومعــالجــة

النقاب وقاية ومعالجة

لقد تحدثنا فى الفصل السابق عن مشروعية الحجاب، وفى هذا الفصل سنبين بمشيئة الله تعالى مشروعية النقاب فى القرآن الكريم والسنة المطهرة، وقد يسأل سائل لسبب ما من الأسباب ويقول: إن النقاب غير ضرورى، والحجاب أولى منه! لأن الشيخ فلان، والعالم علان أفتوا بذلك!!

قلت: كل إنسان يؤخذ برأيه ويرد عليه إلا صاحب الروضة الشريفة سيدنا رسول الله ﷺ كما قال الإمام مالك رحمه الله.

ولا يوجد فى دنيا الناس على الإطلاق معصومون إلا الأنبياء والرسل الذين كان آخرهم سيدنا محمد عليهم جميعاً أفضل الصلوات وأزكى التسليمات.

كذلك لا يوجد فى حياة الناس من هو حجة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، مهما بلغ شأنه، وسما قدره.! وإنما الحجة الأبدية القائمة إلى قيام الساعة ونهاية العالم هى حجة الله المتمثلة فى كتابه وسنة نبيه الكريم ﷺ «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه**»(١) صلى الله عليه وآله وسلم.

وإذا ولينا وجوهنا ببركة الله إلى القرآن الكريم، وعلى وجه التحديد إلى سورة (النور) عند قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (الأحزاب:٣٣) وجدناها تأمر بإلقاء الخمار على الصدور حتى لا يظهر هو وصفحته، والعنق كما سبق بيانه.

---

(١) أخرجه مالك فى الموطأ: كتاب القدر: باب النهى عن القول بالقدر: (٢/ ٨٩٩) ط دار إحياء الكتب العلمية عيسى البابى الحلبى وشركاه، (١٣٧٠)هـ - (١٩٥١)م.

وإذا اكتفينا وآمنا بما أنزل فى سورة النور، فالواجب الإسلامى يفرض علينا أن نؤمن بما أنزل فى سورة الأحزاب، وهما مدنيتان لأن ما جاء فى سورة الأحزاب ليس تكراراً لحديث الحجاب، وإنما هو تقرير وتأكيد بصيغة الأمر لمبدأ الصورة الشرعية التى يجب، ويتأكد على المرأة المسلمة أن لا تظهر إلا بها منتقبة يزينها الحياء، وتحرسها عناية السماء، وتزفها الملائكة فى كل أرض وبيداء ، !

امتلأت بالإيمان، وأشرب قلبها حب القرآن والنبى العدنان عليه الصلاة والسلام، فلبت للنداء، وتجاوبت مع النقاء، وطبقت ما جاءها فى محكم الآيات الغراء حينما أمرها ربها بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٩).

بيان معانى المفردات:

يدنين: يرخين ويُسْدِلن عليهن

جلابيبهن: ما يستترن به كالملاءة.[١]

أدنى : أقرب.

المعنى والتفسير:

أسباب النزول:

قال القرطبى: لما كانت عادة العربيات التبذل، وكن يكشفن وجوههن كالإماء، وكان ذلك داعية إلى نظر الرجال إليهن، وتشعب الفكرة فيهن، أمر الله رسوله ﷺ أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن إذا أردن الخروج لحوائجهن وكن

(١) كلمات القرآن (ص ٢٥٩).

يتبرزن فى الصحراء قبل أن تتخذ الكُنُف – فيقع الفرق بينهن وبين الإماء فتعرف الحرائر بسترهن، فيكف عن معارضتهن من كان عذباً أو شاباً. وكانت المرأة من نساء المؤمنين قبل نزول هذه الآية تتبرّز للحاجة فيتعرض لها بعض الفجار يظن أنها أمة، فتصيح به فيذهب، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ . ونزلت الآية بسبب ذلك. قال معناه الحسن وغيره. (١)

آراء المفسرين والعلماء فى صورة إرخاء الجلبات:

قال القرطبى: الجلابيب جمع جلبات، وهو ثوب أكبر من الخمار . وروى عن ابن عباس وابن مسعود أنه الرداء.

وقد قيل: إنه القناع.

والصحيح أنه الثوب الذى يستر جميع البدن..

واختلف الناس فى صورة إرخائه؛

فقال ابن عباس وعبيدة السلمانى: ذلك أن تلويه المرأة حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها.

وقال ابن عباس أيضاً وقتادة: ذلك أن تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الأنف، وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه.

وقال الحسن: تغطى نصف وجهها. (٢)

(قلت): الذين ادعوا ظهور الوجه اكتفوا بآية سورة النور ولم يضموا إليها هذه الآية المباركة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (١٤/ ٢٤٣).

(٢) الجامع لأحكام القرن (١٤/ ٢٤٤).

وأجدنى أجد إجماعاً من المفسرين على وجوب تغطية الوجه، فهذا هو أحد الأعلام فى التفسير لم يكتف بالقول، وإنما قام وتقنع وأظهر إحدى عينيه مبالغة منه فى التوضيح، وإظهار وجه الحق.

روى محمد بن سيرين عن عبيدة ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾

قال: تقنع عبيدة وأخرج إحدى عينيه.

قال الإمام أبو بكر الجصاص فى هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجنبيين، وإظهار الستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع أهل الريب فيهن. [١]

قال الإمام ابن كثير: وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾. أى: إذا فعلن ذلك عرفن أنهن حرائر، ليس بإماء ولا عواهر. [٢]

قال الإمام الشهاب: وإذا كانت من للتبعيض كما قال البيضاوى في قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ وقد قال فى الكشاف أنه يحتمل وجهين: أن يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب، فيكون البعض واحداً منها.

أو يكون المراد ببعض جزءاً منه بأن ترخى بعض الجلباب، وفضله على وجهها فتتقنع به.

والتجلبب على الأول:

لبس الجلباب على البدن كله، وعلى هذا التقنع يستر الرأس والوجه مع إرخاء الباقى على بقية البدن.

---

(١) أحكام القرآن: (٣/ ٣٧١، ٣٧٢).

(٢) تفسير ابن كثير: (٣/ ٢٤٢).

وقوله: ﴿يُدْنِينَ﴾ يحتمل أن يكون مقول القول، وهو خبر بمعنى الأمر أو جواب الأمر على حد ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ (إبراهيم:٣١).

والجلباب: إزار واسع يلتحف به.

فما قيل إن النظم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ دون على وجوههن!

وقد فسره بستر وجوههن وأبدانهن به، فكيف يصح الحمل على التبعيض حينئذ؟

إذ لا يصح لفظ البعض فى موضع (من) إلا أن يبقى بعض من الجلباب غير مستعمل فى الوجه والبدن.

ليس بشيء.

لأن قوله ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ على تقدير مضاف أى على رؤسهن، أو وجوههن، أو على أنه مفهوم منه وإن لم يقدر.[1]

صفة الجلباب:

يجب أن يكون الجلباب من النوع الطيب بحيث لايصف الجسد ولا يظهر مفاتنه، ولا يشف فيظهر ما تحته من ثياب وذلك حتى لا تقع فتنة.

ذكر أبو هريرة رقة الثياب للنساء فقال: الكاسيات العاريات الناعمات الشقيات.

ودخل نسوة من بنى تميم على عائشة رضى الله عنها عليهن ثياب رقاق فقالت عائشة: إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات، وإن كنتن غير مؤمنات فتمتعن به.

---

(١) حاشية الإمام الشهاب على تفسير البيضاوى (٧/ ١٨٤، ١٨٥).

وأدخلت امرأة عروس على عائشة رضى الله عنها وعليها خمار قبطى معصفر فلما رأتها قالت: لم تؤمن بسورة النور امرأة تلبس هذا.

وثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «**نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن مثل أسنمة البخت لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها**». (١)

ضرب سيدنا عمر للإماء:

روى عن عمر أنه كان يضرب الإماء، ويقول: اكشفن رؤوسكن ولا تشبهن بالحرائر.

وقد قيل: إنه يجب الستر والتقنع الآن فى حق الجميع من الحرائر والإماء. (٢)

(قلت): وهذا هو الذى يجب العمل به.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

غفوراً: لما سلف منهن من ترك الستر.

رحيماً: بهن إذ سترهن. (٣)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٤٤). قلت : والحديث صحيح أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «**صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤسهن كأسنمة البُخْت المائلة، لايدخلن الجنة، ولايجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**». قال الإمام النووى: معنى كاسيات: أى من نعمة الله. عاريات: من شكرها، وقيل: معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها ونحوه، وقيل تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها. ومعنى مائلات : قيل عن طاعة الله وما يلزمن حفظه. مميلات: أى يعلمن غيرهن فعلهن المذموم، وقيل مائلات: يمتشطن المشطة الميلاء وهى مشطة البغايا. ومميلات: يمشطن غيرهن تلك المشطة. رؤوسهن كأسنمة البخت: أى يكبرنها ويعظمنها. يراجع رياض الصالحين: (ص ٤٦٨). ط. دار العقيدة.

(٢) أحكام القرآن (٣/ ٣٧٢)، الجامع لاحكام القرآن (١٤/ ٢٤٤).

(٣) تفسير الجلالين (٣/ ٤٥٥) على هامش الفتوحات الإلهية.

وبعد هذا البيان الكافى والإيضاح الشافى لمشروعية النقاب يجمل بنا أن نضرب أكباد الأدلة، فقد آن للحقيقة أن تنجلى كالعروس وتتبختر كالطاووس كالشمس فى كبد السماء، والأدلة هى نور من هدى القرآن ونور من هدى السنة والله المستعان وعليه التكلان.

أولاً : أدلة القرآن الكريم:

١- قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾(الإسراء:٣٢).

والاستدلال على وجوب النقاب على المرأة من هذه الآية يأتي من وجهين:

الأول: تحريم الزنى.

الثانى: تحريم مباشرة أسبابه فلا ريب فى أن تحريم الشئ يستلزم تحريم مباشرة أسبابه ودواعيه المغرية على فعله ، الحاثة على ارتكابه وهى: سفور الوجه فهو مدعاة للنظرات، ومعقل الشهوات، ومسرح الملذات.

ولا يتم التصون – وهو واجب- من هذه الفاحشة إلا بارتداء النقاب حماية للأعراض، وصيانة من الأمراض ، ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

٢- قول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن

زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور:٣٠-٣١)
الآية والاستدلال من هاتين الآيتين على وجوب النقاب يأتى من عدة طرق:

الطريق الأول:

أن الله سبحانه وتعالى أمر النساء المؤمنات بحفظ فروجهن. والأمر الصادر بحفظ الفرج يستلزم بالتالى الأمر بالمحافظة على ما يكون وسيلة إليه، ومن وسائله الوجه.

لأن سفوره أى الوجه سبب فى تقاذف الأنظار، واضطرام النار، وقضاء الأوطار، وتحقق الفتن والبوار، والاستغراق فى الشهوات، ولهذا فإن من وسائل حفظ الوجه التستر بالنقاب.

الطريق الثانى:

أن المولى جل وعلا نهى النساء عن إبداء زينتهن ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ﴾ ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فلماذا لايكون المعنى هنا الثياب الظاهر والشكل الخارجى؟ وذلك بناء على التنزيل الكريم حيث قال ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ﴾ ولم يقل إلا ما أظهرت منها وشتان ثم شتان بين كلا المعنيين، وفحوى اللفظين، ومرمى المللولين !!!

وأتى النهى مرة ثانية عن إظهار الزينة إلا لمن استثناهم. وهذا إنها يدل على أن المعنى المراد بالزينة الثانية حتماً غير المعنى المراد فى الزينة الأولى.

وعليه فالزينة الأولى هى الزينة الظاهرة التى تظهر لكل واحد، ولا يمكن الاحتراز منها أو إخفاؤها وسترها وذلك كلون الثياب (الجلباب) وما يتعلق به غير الوجه.

والزينة الثانية: هى الزينة الباطنة المنوطة بأمور الزينة.

ولو كانت هذه الزينة جائزة للكل لما كان فى التعميم بالنسبة للأولى ، والاستثناء بالنسبة للثانية كثير أو قليل فائدة.

الطريق الثالث:

قوله تعالى : ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ ومعناه النهى عن ضرب المرأة برجلها فى الأرض، فتحدث صوتاً ويعلم ما تخفيه من الزينة الباطنة.

وهنا نتساءل !

إذا كان القرآن الكريم قد نهى النساء عن الضرب بالأرجل فى الأرض عند المشى، وذلك خوفاً من إثارة أو إغراء الناظرين بها يقع فى مسامعهم من صوت خلخال وغيره، فكيف الأمر بسفور الوجه. وأيها أكبر إثارة، وأعظم إغراء أن يسمع الرجال أصوات الخلاخيل بقدم أنثى! أو أن ينظر إلى وجه سافر؟ أيها يستفز الإثارة ويبعث كوامن الإغراء؟

٣- قوله تعالى :﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور:٦٠)، فقد خص الله القواعد بهذا الحكم وهو نفى الحرج

والإثم عن النساء العجائز المتقدمات فى السن، وهن اللائى لايرجون نكاحاً لعدم إثارة أشواق الرجال إليهن لتقدم سنهن وذبول عودهن، وعدم إغرائهن والمراد بوضع الثياب ماكانت تغطى به وجهها وكفيها عند الصبى والشباب وفى تخصيص الحكم بهؤلاء القواعد لبرهان على أن الشابات اللائى هن فى سن النكاح يخالفهن فى الحكم.

ولو كان الحكم عاماً يشمل الجميع فى جواز وضع الثياب لم يكن للتخصيص الوارد فى شأن القواعد فائدة.

٤- قوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾ (الأحزاب:٥٣) الآية. فالعبرة فيه ليست بخصوص السبب، وإنما هى بعموم اللفظ فدل على أن جميع نساء الأمة يشملهن هذا الحكم وهو الاستتار والاحتجاب عن الأجانب.

وإذا كان الله عز وجل قد أدب نساء نبيه ﷺ بهذا الخلق الرفيع وهن من هن فى الدين والحياء والعفاف والطهر والخلق فدل على أن غيرهن من النساء أحوج وأشد وأعظم لأنه يخاف عليهن الافتتان على عكس زوجات النبى صلى الله عليه وآله وسلم اللائى هن أمهات لكل المؤمنين والمؤمنات.

والولد لايبغى فى أمه طمعاً خسيساً، ولا ينشد ناحيتها غرضاً دنيئاً، ولا يأمل تجاهها هدفاً سيئاً.

وإنما هو الأدب الرفيع، والذوق الراقى، والخلق الواقى، فى أوامر القرآن الكريم غير الخاصة لهن؛ حتى تنهج نساء الأمة نهجهن ، وتحذو حذوهن، وتسلك دربهن، وتهتدى بهديهن، وتقتدى بآثارهن.

٥- قولى تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٩).

وقد مر تفسيرها وبيانها.

ثانياً ـ الأدلة من السنة:

١- أخرج البخارى بسنده. عن عائشة رضى الله عنها قالت: يرحم الله النساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور:٣١) شققن مروطهن فاختمرن بها».[١]

قال الإمام ابن حجر: (مروطهن) جمع مرط وهو الإزار .. وقوله (فاختمرن بها) أى غطين وجوههن، وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التقنع.[٢]

٢- وأخرج البخارى بسنده.. قال ابن جريج أخبرنى عطاء – إذ منع ابن هشام النساء الطواف مع الرجال – قال كيف يمنعهن، وقد طاف نساء النبىﷺ مع الرجال؟ قلت أبعد الحجاب أو قبل؟ قال: إى لعمرى لقد أدركته بعد الحجاب، قلت: كيف يخالطن الرجال؟ قال: لم يكن يخالطن، كانت عائشة رضى الله عنها تطوف حَجْرة من الرجال لا تخالطهم، فقالت امرأة: انطلقى نستلم يا أم المؤمنين، قالت: انطلقى أنت، وأبت. تخرجن متنكرات بالليل، فيطفن مع الرجال، ولكنهن كن إذا دخلن البيت قمن حتى يدخلن وأخرج الرجال، وكنت آتى عائشة وعبيد بن عمير وهى مجاورة فى جوف ثبير، قلت: وما حجابها ؟ قال:

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير: باب: (وليضربن بخمرهن على جيوبهن): حديث رقم: (٤٧٥٨): فتح البارى: (٨/ ٦٢١).

(٢) السابق نفس الصفحات.

هي فى قبة تركية لها غشاء، وما بيننا وبينها غير ذلك ورأيت عليها درعاً مورداً»[١].

٣- قول الرسول ﷺ: «**لا تنتقب المرأة الحرام ولا تلبس القفازين**». [٢]

وهذا مما يدل على أن النقاب واجب على غير المحرمات.

فهذه نصوص من السنة توافرت على وجوب لبس النقاب للنساء فضلا عما سبق بيانه فى القرآن الكريم.

٤- وعن عائشة قالت: كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات، فإذا حازوا بنا أسدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزنا كشفناه». [٣]

٥- وعن أسماء بنت أبى بكر قالت: « كنا نغطى وجوهنا من الرجال..» [٤] .

٦- وعن عبد الخبير بن ثابت بن قيس بن شماسى عن أبيه عن جده قال: جاءت امرأة إلى النبى ﷺ يقال لها أم خلاد وهى منتقبة تسأل عن ابنها وهو مقتول فقال لها بعض أصحاب النبى ﷺ: جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة؟ فقالت: إن أرزأ ابنى فلن أرزأ حيائى فقال رسول الله ﷺ: «**ابنك له أجر**

---

(١) أخرجه البخارى: كتاب الحج: باب طواف النساء مع الرجال: حديث رقم: (١٦١٨) فتح البارى (٣/ ٦٠٥) .

(٢) أخرجه البخارى: كتاب جزاء الصيد: باب تزويج المحرم: حديث رقم (١٨٣٨) فتح الباب (٤/ ٦٨) أبو داود (٢/ ٢٢٣) ، والترمذى (٣/ ١٩٤) وقال حسن صحيح.

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى المسند: (٦/ ٣٠) وأبو داود وابن الجارود رقم: (٤١٨) والبيهقى فى الحج وسنده حسن فى الشواهد.

(٤) أخرجه الإمام الحاكم فى المستدرك: (١/ ٤٥٤) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

شهيدين، قالت: ولم ذاك يارسول الله ؟ **قال لأنه قتله أهل الكتاب»** .(١)

ومن العجيب الملفت للنظر أن بعض دعاة السفور تشبثوا بظاهر هذا الحديث واتخذوا من سؤال الصحابة عن تنقب السيدة أم خلاد ذريعة لمدعاهم وهواهم،

وفاتهم الأمر المهم:

وهو أن امرأة فقدت ثمرة كبدها ، وفلذة كبدها، وينبوع قلبها، ويعظم مصابها، لم يفتها أن تتنقب، على الرغم من أنها لو كشفت عن وجهها لكان لها فى هذه الأثناء الخاصة والشديدة مندوحة.

وهى الانشغال بالمصيبة، والاهتمام بالبلية العظيمة. ولا يفهم أن الصحابة أنكروا عليها صنيعها من التنقب، فسؤالهم ليس سؤال المستنكر المستغرب، ولكنه سؤال المستفهم المندهش المتعجب!

ولذا لم يبادرها واحد منهم بتصحيح حالها، أو بتغيير زيها لما سمعوا إجابتها القاطعة إن أصبت فى فقدان ولدى فلن أصب فى فقدان حيائى هو الآخرَ.

وفاتهم الأمر الأهم:

وهو أن الرسول ﷺ أقرها على فعلها، فلو لم يكن النقاب واجباً لما أقرها عليه، ومن المعلوم أنه لو قام أحد بإلزام ما ليس واجباً عليه لقام الرسول بتصحيح فعله، وتصويب خطئه كما فعل ﷺ مع الثلاثة الذين سألوا عن عبادته ﷺ، ولما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،

قال أحدهم: فأصلى الليل أبداً،

---

(١) أخرجه أبو داود: (١/ ٣٨٩) من طريق فرج بن فضاله.

وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر أبداً،

وقال آخر: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً،

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له،**

ولكنى:

أصوم وأفطر،

وأصلى وأرقد،

وأتزوج النساء،

فمن رغب عن سنتى فليس منى». [١]

فلو أن الرسول ﷺ أقر هؤلاء الثلاثة على هذه العبادة والزهادة المتعمقة والمتشددة لكان تشريعاً منه ﷺ واجب الالتزام ، ولكنه لما كان غير ذلك بين خطأهم، وقطع عذرهم !!

وهذا ما لم يفعله ﷺ تجاه السائلة المنقبة، فصار ذلك تشريعاً منه ﷺ وإقراراً. فليتدبر.

يقول الإمام الغزالى فى الإحياء:

لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفى الوجوه والنساء يخرجن منقبات. [٢]

وعن سعيد بن المسيب أن على بن أبى طالب عليه السلام قال لفاطمة عليها

(١) الترغيب والترهيب: الإمام المنذرى (٣/ ٦٩) وعزاه للإمام البخارى ومسلم وغيرهما.
(٢) إحياء علوم الدين: الإمام الغزالى: (٢/ ٥١) ط دار الغد العربى.

السلام: ماخير النساء؟ قالت: ألا ترى الرجال ولا يرونهن فقال علي : فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «**إنما فاطمة بضعة مني**». [١]

قال الإمام ابن الجوزي: قد يشكل هذا من لايعرفه، فيقول: الرجل إذا رأى المرأة خيف عليه أن يفتن فما حال المرأة؟

فالجواب أن النساء شقائق الرجال. فكما أن المرأة تعجب الرجل، فكذلك الرجل يعجب المرأة وتشتهيه كما يشتهيها، ولهذا تنفر من الشيخ، كما ينفر الرجل من العجوز. [٢]

وبما سبق نستخلص الآتي:

١- وجوب النقاب كما يتضح من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وحديثه الصحيح.

٢- لاحجة للقائلين بسفور الوجه على زعمهم أنه ليس بعورة فهو قول لاينهض إلى نقض السابق من آيات الكتاب الكريم وحديث النبي الأمين عليه أفضل الصلاة وأعطر التسليم،فقولهم منقوض، وحجتهم داحضة، وآراؤهم سقيمة لما يلي:

أ- قوة الأدلة المبينة لوجوب النقاب كما سبق بيانها.

ب- لثبوت أن وجه المرأة عورة كما جاء في حديث رسول الله ﷺ : «**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**» [٣].

---

(١) أحكام النساء: الإمام ابن الجوزي: (ص ٤١٢٤٠).

(٢) السابق : نفس الصفحة.

(٣) أخرجه الترمذي: أبواب الرضاع: باب (١٨): حديث رقم: (١١٨٣) تحفة الأحوذي: (٤/ ٢٨٣) من طريق أبي الأحوص عن عبد الله وقال الترمذي: هذا حديث صحيح، وأيضاً ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب: ترغيب النساء في الصلاة في بيوتهن ولزومها وترهيبهن من الخروج منها: (١/ ١٣٥) بزيادة : «**وأنها لاتكون أقرب إلى الله منها في قعر بيتها**». وعزاه للطبراني في الأوسط وقال: ورجاله رجال الصحيح.

قال الإمام المباركفورى قال فى مجمع البحار: جعل المرأة نفسها عورة، لأنها إذا ظهرت يستحى منها كما يستحى من العورة إذا ظهرت والعورة السوأة وكل مايستحى منه إذا ظهر. وقيل إنها ذات عورة «**فإذا خرجت استشرفها الشيطان**» أى زينها فى نظر الرجال. وقيل أى: نظر إليها ليغويها ويغوى بها.

والأصل فى الاستشراف: رفع البصر للنظر إلى الشىء، وبسط الكف فوق الحاجب.

والمعنى: أن المرأة يستقبح بروزها وظهورها، فإذا خرجت أمعن النظر إليها ليغويها بغيرها، ويغوى غيرها بها ليوقعها أو أحدهما فى الفتنة.

أو يريد بالشيطان:

شيطان الإنس من أهل الفسق سماه به على التشبيه. [1]

(قلت): ومهما يكن من شأن القائلين بأن وجه المرأة ليس بعورة، فإن حديث رسول الله ﷺ هذا يرد زعمهم، وإلا فما معنى المرأة عورة؟ وهل وجهها ليس منها؟

ج- تمسك القائلون بالسفور بحديث ضعيف ضعفه الإمام أبو داود، ونصه: عن عائشة أن اسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله ﷺ، وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال: «**يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح لها أن يرى منها إلا هذا وهذا**» وأشار إلى وجهه وكفيه.

قال أبو داود: هذا مرسل، خالد بن دريك لم يدرك عائشة. [2]

---

(١) السابق نفس الصفحة.

(٢) سنن أبو داود: كتاب اللباس: باب فى العبد ينظر إلى شعر مولاته: حديث رقم(٤١٠٤): (٣/ ٦٤، ٦٥).

(قلت): وعليه فلا ينهض حجة وإن كانت له شواهد أخرى فهو حسن لغيره، وإذا تعارض حديثان أحدهما صحيح كما سبق بيانه وآخر ضعيف كما هنا، فالحق يوصى بأن نأخذ بالصحيح ونرد ما عداه.

د- احتكم القائلون بالسفور بأحاديث صحيحة مثل حديث رسول الله ﷺ «**تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم، فقامت امرأة من وسط النساء، سفعاء الخدين، فقالت: لم يا رسول الله ؟ قال لأنكن تكثرن الشكاة، وتكفرن العشير..**» الحديث. [1]

(قلت:) فليس فيه دلالة على مرادهم. فهى سعفاء الخدين. أى: فيها تغير وسواد، وهذا مما يؤكد أنها كانت من القواعد العجائز اللائى لا يرجون نكاحاً كما سبق بيانه، وهن اللائى يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة.

أو أن ذلك كان قبل الأمر بإيجاب النقاب.

هـ- اعتمدوا أيضاً على حديث المرأة الواهبة وهو صحيح ونصه: «أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺفقالت يا رسول الله: جئت لأهب لك نفسى، فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر إليها وصوبه، ثم طأطأ رأسه..» الحديث. [2]

(قلت): النظر للخطبة من أوجب الواجبات لتضافر الأحاديث الدالة على ذلك، وكذا النظر للضرورة كالمعالجة والشهادة وتقدر بقدرها. فليس فى الحديث دعوة للسفور، أو الإباحة المطلقة لكشف الوجه. فهو استدلال ضعيف من أصحاب دعوى جواز كشف الوجه فليتأمل.

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (٦/ ١٧٥).
(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٤٣)، وأبو داود (٩/ ١٠٧).



الفصل السابع

آداب الاستئذان

وقاية ومعالجة



آداب الاستئذان وقاية ومعالجة

لقد أحاط الإسلام أهله بوسائل الحماية، وأسباب الوقاية، وحصَّنهم بما يقيهم من كل عوامل الإثارة والإغراء، حيث قفل كل المنافذ، وسدَّ كل الطرق، وأحكم السدود وأقام الحواجز المنيعة ضدهما.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ (النور:٢٧-٢٩).

بيان معاني المفردات:

تستأنسوا: تستأذنوا ممن يملك الإذن.

أزكى لكم: أطهر لكم من دنس الريبة والدناءة.

جناح: إثم.

متاع لكم: منفعة ومصلحة لكم.[١]

أسباب النزول: قال أشعث: عن عدى بن ثابت، أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله؛ إنى أكون فى منزلى على الحال التى لا أحب أن يراني أحد عليها، لا والد ولا ولد، وأنه لا يزال يدخل على رجل من أهلى وأنا على تلك الحال. قال: فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا...﴾ الآية [٢] (النور:٢٧).

---

(١) «كلمات القرآن»: ص (٢١٧).

(٢) «تفسير الإمام ابن كثير»: (٣/ ٢٤٢).

المعنى والتفسير:

لما خصص الله سبحانه ابن آدم الذى كرمه وفضله بالمنازل، وسترهم فيها عن الأبصار، وملكهم الاستمتاع بها على الانفراد، وحجر على الخَلْق أن يطلعوا على ما فيها من خارج أو يَلِجوها من غير إذن أهلها؛ أدَّبهم بما يرجع إلى الستر عليهم لئلا يطلع أحد منهم على عورة.(١)

عدد مرات الاستئذان:

السنة فى الاستئذان ثلاث مرات لا يزاد عليها. قال ابن وهب: «قال مالك: الاستئذان ثلاث، لا أحب أن يزيد عليها أحد إلا مَنْ علم أنه لم يسمع، فلا أرى بأساً أن يزيد إذا استيقن أنه لم يسمع».

صورة الاستئذان:

وصورة الاستئذان أن يقول الرجل: السلام عليكم أأدخل؛ فإذا أُذِن له دخل، وإن أُمر بالرجوع انصرف، وإن سُكت عنه استأذن ثلاثاً ثم ينصرف من بعد الثلاث.

قال القرطبي: قال علماؤنا -رحمة الله عليهم-: إنما خُصَّ الاستئذان بثلاث لأن الغالب من الكلام إذا كرر ثلاثاً سُمِع وفُهِم.. وإنما كان الغالب هذا، فإذا لم يؤذن له بعد ثلاث ظهر أن رب المنزل لا يريد الإذن، أو لعله يمنعه من الجواب عنه عذر لا يمكنه قطعه، فينبغي للمستأذن أن ينصرف، لأن الزيادة على ذلك قد تقلق رب المنزل، وربما يضره الإلحاح حتى ينقطع عما كان مشغولاً به، كما قال

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٢/ ٢١٢).

النبى ﷺ لأبى أيوب حين استأذن عليه فخرج مستعجلاً فقال: «**لعلنا أعجلناك؟..**» الحديث.

إلقاء السلام من قبل المستأذن ثلاث مرات:

قال القرطبي: روى عقيل، عن ابن شهاب قال: أما سنة التسليمات الثلاث فإن رسول الله ﷺ أتى سعد بن عبادة، فقال: «**السلام عليكم**»، فلم يردوا ثم قال ﷺ: «**السلام عليكم**»، فلم يردوا، فانصرف رسول الله ﷺ؛ فلما فقد سعد تسليمه عرف أنه قد انصرف، فخرج سعد فى أثره حتى أدركه فقال: وعليك السلام يا رسول الله، إنما أردنا أن نستكثر من تسليمك، وقد والله سمعنا، فانصرف رسول الله ﷺ مع سعد حتى دخل بيته.

قال ابن شهاب: فإنما أخذ التسليم ثلاثاً من قِبَل ذلك، رواه الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي.

تعليم النبي أمته كيفية الاستئذان:

قال رسول ﷺ: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع**».

قال القرطبي: وأما ما ذكرناه من صورة الاستئذان فما رواه أبو داود، عن ربعي، قال: حدثنا رجل من بنى عامر استأذن على النبى ﷺ وهو فى بيت، فقال: أألج؟ فقال النبى ﷺ لخادمه: «**اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان**»، فقال له: قل السلام عليكم أأدخل؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فأذن له النبى ﷺ فدخل.[1]

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: (١٢/ ٢١٤-٢١٦) بتصرف.

وجوب الاستئذان على المحارم:

روى شعبة، عن أبى إسحاق، عن مسلم بن يزيد، قال: سأل رجل حذيفة: أأستأذن على أختي؟ قال: إنْ لم تستأذن عليها رأيت ما يسوءك.

وعن عطاء قال: سألت ابن عباس: أأستأذن على أختي؟ قال: نعم. قال: قلت: إنها معى فى البيت، وأنا أنفق عليها، قال: استأذن عليها.

قال رجل لابن مسعود: أأستأذن على أمي؟ قال: نعم.

عن عطاء بن يسار أن رجلاً سأل النبى ﷺ قال: أأستأذن على أمي؟ قال: «**نعم أتحب أن تراها عريانة؟**»[1]

معنى الاستئناس:

عن أبى أيوب، قال: قلت: يا رسول الله؛ هذا السلام، فما الاستئناس؟ قال: «**يتكلم الرجل بتسبيحه، أو تكبيره، أو تحميده، ويتنحنح فيأذن له أهل البيت**».[2]

قال ابن كثير: وقال مقاتل بن حيان فى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ (النور:٢٧).

كان الرجل فى الجاهلية إذا لقى صاحبه لا يسلم عليه، ويقول: حُييت صباحاً، وحُييت مساءً، وكان ذلك تحية القوم بينهم، وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول: قد دخلت، ونحو ذلك، فيشق ذلك على الرجل، ولعله يكون مع أهله.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: (١٢/٢١٢).

(٢) ذكره ابن كثير فى «تفسيره» (٣/٢٤٢)، وعزاه لابن أبى حاتم بسنده، وقال: هذا حديث غريب.

فغيَّر الله ذلك كله فى ستر وعفة، وجعله نقياً نزهاً من الدنس والقذر والدرن؛ فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ﴾ (النور:٢٧) الآية.

قال ابن كثير: وهذا الذى قاله مقاتل حسن. ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكُم خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعني: الاستئذان خير لكم، بمعنى هو خير للطرفين: للمستأذن، ولأهل بيته. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ . وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ ذلك لما فيه من التصرف فى مِلْك الغير بغير إذنه، فإن شاء أذن، وإن شاء لم يأذن.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ﴾ أي: إذا ردوكم من الباب قبل الإذن أو بعده ﴿فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ﴾ أى رجوعكم أزكى لكم وأطهر.(١)

يقول شهيد الإسلام الشيخ سيد قطب –رحمه الله–: والاستئذان على البيوت يحقق للبيوت حرمتها التى تجعل منها مثابة وسكنًا، ويوفر على أهلها الحرج من المفاجأة، والضيق بالمباغتة، والتأذى بانكشاف العورات، وهى عورات كثيرة تعنى غير ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر هذه اللفظة.

إنها ليست عورات البدن وحدها، إنما تضاف إليها عورات الطعام، وعورات اللباس، وعورات الأثاث التى لا يحب أهلها أن يفاجئهم عليها الناس دون تهيؤ وتجمل وإعداد، وهى عورات المشاعر، والحالات النفسية.

فكم منا يحب أن لا يراه الناس وهو فى حالة ضعف يبكى لانفعالٍ مؤثر، أو يغضب لشأن مثير، أو يتوجع لألم يخفيه عن الغرباء. وكل هذه الدقائق يرعاها

---

(١) السابق نفس الصفحة.

المنهج القرآنى بهذا الأدب الرفيع –أدب الاستئذان– ويرمى معها فرص النظرات السانحة، واللقاءات العابرة التى طالما أيقظت فى النفوس كامناً من الشهوات والرغبات، وطالما نشأت عنها علاقات ولقاءات يدبرها الشيطان ويوجهها فى غفلة عن العيون الراعية والقلوب الناصحة هنا أو هناك.[1]

(قلت): والاستئذان واجب على الجميع رجالاً ونساءً وعمياناً؛ لأن العورات المدركة بحاسة السمع قد تكون أقوى مما يدرك بحاسة البصر، وهناك الأحاديث الخاصة التى لا يحمد سماعها من الغير، وقد صرح العلماء أن قول النبى ﷺ : «**إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر**» بأنه محمول على الغالب.

وقد رفع الإسلام شأن البيوت، وجعلها أمناً لأصحابها، فلا يجوز أن ينظر إليها أحد أو يمد بصره فيها على حين غفلة من أصحابها.

فلو أن رجلاً اطلع على أصحاب بيت من غير إذنهم فحذفوه بحصاة وفقئوا عينه ما كان عليهم من إثم.

بل جعل الإسلام النظر إلى كتاب الغير أو رسالته حراماً من غير إذن، ومن اقتحم ذلك فكأنما ينظر فى النار.

يقول القرطبي:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ توعّد لأهل التجسس على البيوت، وطلب الدخول على غفلة للمعاصي، والنظر إلى ما لا يحل ولا يجوز، ولغيرهم ممن يقع فى محظور.[2]

---

(١) «فى ظلال القرآن» (١٨/ ٨٩).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٢/ ٢٢٠).

إباحة دخول الأماكن المعدة لغير السُّكْنى بغير استئذان:

لما كانت البيوت سكناً وراحة وأمناً وأماناً لأصحابها فقد حرم الإسلام دخولها بغير استئذان، حفاظاً على حرمتها، ورعاية لحقِّ أهلها، وذلك على عكس البيوت المعدة لغير السكن كالمحلات التجارية بأنواعها المختلفة، والمكاتب الحكومية وغيرها.

فقد جعل الإسلام لها حكماً يغاير حكم البيوت المسكونة وهو الإباحة.

وهذا من الدقة بما تعجز العبارة عن بيانه، فلا خلط فى الأوراق فى منهج الإسلام، فحينما تطل بوادر **الإثارة والإغراء** ، أو تشم لها رائحة فقد أحكم الغلق وبادر بالتحريم، وحينما تتلاشى عواملهما، وتغيب آثارهما حيث لا إثارة ولا إغراء ولا خوف من الفتنة فى دخول هذه الأماكن من غير استئذان فالإباحة كما قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾

قال الإمام الجمل –رحمه الله–: هذا بمنزلة الاستثناء من قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾

قال المفسرون: لما نزلت آية الاستئذان قالوا: يا رسول الله؛ كيف بالبيوت التى بين مكة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن من أربابها؟ فنزل:﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ الآية.

ويروى أن أبا بكر قال: يا رسول الله أنزل عليك آية فى الاستئذان، وإننا نتخلف فى تجارتنا فننزل الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن فنزلت.

قوله:﴿غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ أى غير موضوعة لسُكْنى طائفة مخصوصة، بل كانت موضوعة ليدخلها كل مَنْ له حاجة تقصد منها كالرُّبَط والخانات والحمامات والحوانيت ونحوها.

﴿فِيهَا مَتَٰعٌ﴾ أى منفعة. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ أى تظهرون ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ تخفون فى دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره.(١)

استئذان المماليك والأطفال:

الناظر للإسلام فى هذا الصدد يجد أنه إنما أراد أن يطهر البيوت طهارة فائقة، ويقيم أعمدتها على نظافة موفقة، ويفرش أرضها على مراتب العفاف الشاهقة.

فتنشأ الأطفال نشأة حميدة، وتترعرع فى ظل تعاليم القرآن الكريم والسنة المباركة جميلة الخصال، طيبة الأفعال، سليمة المقال.

حيث لم تقع أعينهم على قبيح، ولم تعصف بهم الريح! قد حفظهم الآباء والأمهات مما يجنح بهم إلى سؤالات حائرة! أو يلقى بهم فى كرة خاسرة. كيف لا والولد سر أبيه!!

وقديماً قال القائل:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ❁ على ما كان عوده أبوه

والمتأمل فى رياض القرآن الكريم النضرة يجد فيها ما يعجز البيان عن تصويره، فهذه هى السنة: «**علّموا أولادكم الصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم فى المضاجع**».(٢)

ولعمرى هذا الحديث يؤكد ما قاله علماء النفس من أن التكوين الجنسى عند الذكر والأنثى يبدأ من سن العاشر تقريباً. أو بعدها بقليل.

ولنا أن نفخر بمسألة تحديد رسول الله ﷺ لهذه السن بالذات وهو الذى لم

---

(١) «الفتوحات الإلهية»: الإمام الجمل (٣/ ٢١٨).

(٢) الحديث سبق تخريجه، أخرجه أبو داود وغيره.

يتعلم فى جامعة، ولم يجلس أمام معلم، ولم يُجْرِ مختبرات فى المعمل!

ولهذا أمرنا بالفصل التام بين الأخ وأخته فى غرف النوم.

ويكفيه شرفاً وفخراً أن معلمه هو الله الذى قال له: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء:١١٣).

وفى هذه السن بالذات تنطبع الصور فى معمل العقل، ويحتفظ بها الكمبيوتر الربانى فى غرفة الحفظ بالدماغ عند الطفل فيصعب أن تزيل خطأ من عقل الطفل، وخاصة إذا التقطه بالكاميرا الباصرة عن أبيه وأمه، لأنهما القدوة فى نظره، ومنهما يتعلم، وعنهما يتلقي، وإليهما يتجه، وهنالك تعتبر مرحلة الطفولة ذات أهمية كبرى فى حياة أبنائنا، ومن ثَمَّ كانت لها قيمتها من الناحية التربوية سواء للآباء والأمهات أو المربيين على اختلاف أنواعهم.

إذ إن الأطفال فى هذه المرحلة يتحقق لهم قدر كبير من الاتزان العضوي والفسيولوجي، ويستطيعون اكتساب قدرات ومدركات حسية جديدة تبعث وتوقظ وتحرك فيهم قوة هائلة جديدة.

ويستطيع الأطفال فى مراحل التمييز اكتساب التوافق الصحيح مع البيئتين الخارجية والداخلية، ويتلقون أول دروس الدين والتقاليد والعرف والاجتماع، ويشرعون فى تكوين العادات السلوكية، والانفعالات النفسية والخُلُقية تجاه الآخرين، وهنالك تستقر خطوط الصحة النفسية وتتقرر لدى هؤلاء الأطفال، وفى هذه المرحلة الحرجة تنزرع كثير من القيم، وتنغرس كثير من المبادئ والاتجاهات الاجتماعية والأخلاقية، والسلوكية.

ولا عجب فى أن تتحدد مفاهيم الخطأ من الصواب، والشر من الخير، عن طريق الآباء خاصة، فضلاً عن المربين.

ومن ثَمَّ نستطيع الجزم بأن الغرس الذى تلقاه الأطفال فى صغرهم إنما تعود فائدته وثمرته عند شبابهم!

ولذا تبين البذور الأولى وتستطيع التوضيح الجلى عن كشف التصورات للشخصية المستقبلية لدى الأطفال.

ومن هنا كان من الضرورى الأخذ بمبدأ التعلم، والاتجاه به نحو الكمال، والسير به نحو الرقي، والتقدم به نحو السمو؛ لأن الطفل محتاج إلى من يحسن تغيير وتصميم وحسم المواقف، ومن يجيد تنظيم جو البيت؛ فهو فى مسيس الحاجة إلى الأم الواعية، والأب العاقل، والمربى المتميز، والمجتمع المتحضر!!

والقرآن الكريم لم يغفل جوانب التعليم والتثقيف والتربية للأطفال، منذ نعومة أظفارهم فاختصهم بمزيد فضله، وكريم رعايته، ورقى آدابه، وسمو تعاليمه؛ لأنه يعلم أن طفل اليوم إنما هو رجل المستقبل، ودرع الأمة الواقى عند الشدائد، فإذن حسن البدء حسن الختام.

ولهذا كان نداء القرآن الكريم بالمحافظة على الأطفال وعدم تعرضهم لعوامل الإثارة والإغراء، وهذه هى دعوة القرآن، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور:٥٨، ٥٩).

بيان معانى المفردات:

ليستأذنكم: الإذن الإباحة، والإذن: الأمر.. واستأذن طلب الإذن.[(١)]

الحلم: الاحتلام وترك مرحلة الطفولة، وهو حد البلوغ.

عورات: العورة السوأة من الإنسان ويجب سترها.

جناح: حرج.

طوافون: يروح بعضكم ويجيء على بعض من غير حرج.

الآيات: الأحكام.

سبب النزول:

قال مقاتل: نزلت فى أسماء بنت أبى مرثد دخل عليها غلام كبير لها فى وقت كرهت دخوله عليها، فأتت النبى ﷺ فقالت: إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حالٍ نكرهها فأنزل الله تعالى الآية.

وقد روى أيضاً أن رسول الله ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج إلى عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- وقت الظهيرة ليدعوه فوجده نائماً قد أغلق عليه الباب فدق الغلام الباب، فناداه ودخل، فاستيقظ عمر وجلس فانكشف منه شيء، فقال عمر: وددت أن الله تعالى نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول علينا فى هذه الساعات إلا بإذن، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد أنزلت، فخرَّ ساجداً شكراً لله.[(٢)]

---

(١) «القاموس القويم» (١/ ١٥، ١٦).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٢/ ٣٠٢، ٣٠٤).

المعنى والتفسير:

الإسلام دين الحضارة الفاضلة والمدنية الكاملة والأدب الرفيع، إنه لم يترك وسيلة من وسائل الإصلاح إلا وسلكها، فرسالته فى الحياة رسالة أدب وتربية.

إنه يبنى الأخلاق، ويكوّن المثل العليا؛ لينشأ أتباعه كلما أرادهم الله: خلفاء الأرض، ينشرون فيها الفضيلة، ويحاربون الرذيلة.

فهم خير أمة ما نهجوا هذا المنهج، وسلكوا ذلك المسلك؛ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران:١١٠).

وفى هذه الآية الكريمة ينادى الله المؤمنين فيهم بهذا الوصف مصدقون بالله ورسوله، معتقدون أن ما شرعه الله لعباده هو الدستور الذى تستقيم به الحياة، والنظام الذى يصحح سلوك الناس، والله لا يأمرهم إلا بما فيه سعادتهم، وصلاح أمرهم فى عاجلهم وآجلهم.

أوقات الاستئذان:

فهو -سبحانه وتعالى- يرشدهم إلى أن يستأذن فى الدخول عليهم عبيدُهم وإماؤهم، والأطفالُ الذين لم يبلغوا الحلم، لأنهم لم يبلغوا بعدُ مبلغ الرجال.

فهؤلاء عليهم ألا يدخلوا على مَنْ يقومون بخدمتهم قبل صلاة الفجر وبعد صلاة العشاء وفى وقت القيلولة حين يضعون ثيابهم إلا بإذن.

وقد عبَّر القرآن، بـ﴿حِينَ﴾ إشارة إلى قلة الزمان، ولم يكن وضع الثياب فى وقت العشاء والفجر لظهور أمرهما وعدم احتياجه إلى تصريح.

فإذا كان الإذن مطلوباً وقت الظهيرة، وأنه لا يحل لهؤلاء المذكورين أن

يدخلوا بدون إذن فى ذلك الوقت، فمن باب أولى لا يحل ذلك وقت العشاء والفجر، لأنهما وقت الخلود إلى النوم، وكشف العورات فيهما هو الغالب.

أما غير هذه الأوقات الثلاثة فلا حرج -لا عليكم ولا عليهم- فى الدخول بغير إذن.

هم مكلفون بالخدمة، فإذا استأذنوا كلما دخلوا كان فى ذلك من الحرج ما فيه، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج:٧٨).

والإسلام حين أرشد إلى استئذان الأطفال المميزين والخدم فى هذه الأوقات، إنما يرشد إلى أدب رفيع، كثيراً ما يغفل الناس عنه فى بيوتهم، مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخُلُقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات النساء، وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المظاهر.

بينما يقرر النفسيون اليوم بعد تقدُّم العلوم النفسية أن بعض المشاهد التى تقع عليها أنظار الأطفال فى صغرهم هى التى تؤثر فى حياتهم كلها، وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها.

ثم يرشد الحق -تبارك وتعالى- إلى أنه إذا بلغ الأطفال مبلغ الرجال! فالواجب أن يعلّموا أدب الاستئذان، فإن الاستئذان يجب عليهم كما يجب على مَنْ تقدمهم من البالغين الأجانب حسب النص العام الذى مضت به آية الاستئذان: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (النور:٥٩).

وفى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ إشارة إلى أن المقام مقام علم الله بنفوس البشر، وما يصلحها من الآداب، ومقام حكمته كذلك فى علاج النفوس والقلوب.[1]

---

(١) «فى ظلال القرآن» (٤/ ٢٥٣١-٢٥٣٣).

ومما سبق نستخلص الآتي:

١ - الخطاب فى قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ للمتصفين بالإيمان، رجالاً كانوا أو نساء على السواء، ولا يفهم أنه خطاب وُجِّه للذكران تغليباً على الإناث، فالمرأة كالرجل فى التشرف بنسبة الإيمان إليها.

٢ - الأمر فى الآيتين الكريمتين: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾، ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ للوجوب لإفادة الظاهر ودلالة السياق، ورعاية الآداب.

٣ - توجيه الخطاب للموالى والآباء فى الحقيقة ليعلِّموا العبيد والأطفال آداب الاستئذان، وإنْ كان فى الظاهر موجهاً للعبيد والصغار.

٤ - اتفاق الفقهاء على أن الاحتلام بلوغ، وخلافهم فيمن بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم، فعند أبى حنيفة لا يكون الغلام بالغاً إلا باستكمال ثمانى عشرة سنة، والفتاة سبع عشرة سنة.

ويرى الشافعى وأبو يوسف أن البلوغ باستكمال خمس عشرة سنة للغلام والفتاة. وليس المجال استقصاء هذه المسألة، فليُرْجع إليها فى كتب الفقه.

❊ ❊ ❊ ❊

وختاماً:

نقول: ما أحوج المجتمعات المسلمة اليوم إلى تطبيق المنهج القرآني، وتلبية النداء والتطهر بوحى السماء، حتى تبرأ من عللها، وتشفى من أمراضها، والله سبحانه هو الضامن إذا اتبعنا هداه أنْ لا نضل ولا نشقى، كما قال -تبارك اسمه-: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ (طه:١٢٣-١٢٧).

والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بما لهما من صلاحية لقيادة البشرية ورعاية الإنسانية قد وجَّها كل العالم إلى فعل الخير، والصلاح، والرشاد!

وهما بذلك يُثْبتان -وسيظلان هكذا- أنهما صالحينِ لكل زمان، ولكل مكان ولكل إنسان مهما نأت داره، أو تغيرت لغته.

والداء الذى أصاب البشرية اليوم فى أخلاقها -إلا ما رحم ربي- ليس سببه إلا فى ضعف روح الوحى فى القلوب وخُفُوته.

ويوم يؤوب المسلمون إلى رشدهم، ويتخلون عن التقليد الأعمى، والمحاكاة الغاشمة للشرق أو الغرب فى أنظمة حياتهم، بَلْهَ معاملاتهم وسلوكهم وأخلاقهم.

عندها سيحصلون على أَزِمَّة القيادة المسلوبة كما كانت معهم من قبلُ!

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧).

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (النور:٥٥).

والله وحده أسأل أن يهدينا سبل السلام، وأن يخرجنا من الظلمات إلى النور، وهو ولى ذلك والقادر عليه.

وحسبى أننى ما أردت إلا الإصلاح ما استطعت؛ عملاً بقول الله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود:٨٨).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك فى كل نَفَس ولمحة وحين على سيد الخلق سيدنا محمد وعلى آل بيته أجمعين إلى يوم الدين

وكتبه

دكتور

إسماعيل عبد العزيز «أبو شطره»

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية



ثبت المراجع

١- أحكام القرآن للجصاص ، الإمام إبى بكر ابن أحمد، نشر دار الكتاب العربى، بيروت ، لبنان.

٢- أحكام النساء لابن الجوزى ، مكتبة التراث الإسلامى، بدون.

٣- الإسلام والجنس ، فتحى يكن ، ط مؤسسة الرسالة ، (١٤٠٢هـ)، (١٩٨٢م).

٤- الإسلام والحياة الجنسية ، دراسة تحليلية مستمدة من القرآن الكريم ، د. محمود بن الشريف ، سلسلة كتب التصوف الإسلامى، الكتاب الخامس عشر (صفر ١٤٢٠هـ/ مايو ١٩٩٩م).

٥- الإنسان بين المادية والإسلام ، دار الشروق - ط. العاشرة ، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

٦- الترغيب والترهيب ، ط دار الحديث ، بدون.

٧- التعريفات للجرجانى، الشريف على بن محمد، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

٨- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، ط دار الفكر، بيروت ، لبنان (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٩- الداء والدواء ، لابن القيم الجوزى

١٠- الفتوحات الإلهية ، بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، سليمان بن عمر الشهير بالجمل ، دار الفكر ، بدون.

١١- القاموس القويم للقرآن الكريم ، مجمع البحوث الإسلامية ، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

١٢- القاموس المحيط للفيروز آبادى ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.

١٣- المرأة ومكانتها في الإسلام ، الأستاذ أحمد عبد العزيز الحصين ، نشر مكتبة الإيمان بالعجوزة (١٤٠١هـ) (١٩٨١م).

١٤- المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعى، ط دار السلام ، بدون.

١٥- المصباح المنير ، للفيومى، مكتبة لبنان، بيروت ، لبنان ، بدون.

١٦- المعجم الوجيز ، ط مجمع اللغة العربية (١٤١١هـ) (١٩٩١م).

١٧- تحفة الأحوذى، بشرح جامع الترمذى للحافظ أبى العلا المباركفورى، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، بدون.

١٨- تفسير الحافظ ابن كثير، ط دار القلم ، بيروت ، لبنان، بدون.

١٩- رياض الصالحين ، الإمام النووى، ط. دار العقيدة.

٢٠- سنن أبى داود، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، الأولى (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

٢١- صحيح مسلم ، بشرح النووى ، للإمام النووى ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، (١٤١١هـ/١٩٩٠م).

٢٢- صفوة التفاسير ، محمد على الصابونى ، ط دار القرآن الكريم، بيروت ، لبنان، الأولى، (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

٢٣- فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، الإمام أحمد بن على بن حجر ، ط، دار السلام ، الرياض ، الأولى، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

٢٤- فتنة النساء، عبد المنعم قنديل ، مكتب التراث الإسلامى.

٢٥- في ظلال القرآن ، مختصر تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، ط دار الشروق الخامسة عشر ، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، وطبعة عيسى الحلبي الأولي.

٢٦- قضايا المرأة : الشيخ محمد الغزالي، ط دار الشروق السادسة (١٤١٦هـ) (١٩٩٦م).

٢٧- كلمات القرآن ، تفسير وبيان الشيخ حسنين مخلوف ، ط دار المعارف ، بدون.

٢٨- مختار الصحاح - للرازي محمد بن أبي بكر الرازي ، دار الكتاب العربي ، (١٤٠١هـ-١٩٨١م).

٢٩- من وصايا القرآن للنساء - الشيخ محمد السعيد ، ط ، دار المنار، بدون.

٣٠- موطأ مالك ، ط دار إحياء الكتب العلمية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (١٣٧٠هـ/١٩٥١م).

٣١- نحو أسرة بلا مشكلات، د. محمود عمارة ؛ ط دار المنار الأولي (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

❀❀❀❀


الفهـرس